الإمام

علي بن أبي طالب

حياته الفكرية وتأثيرها في فكر الإمام الغزالي

تأليف الدكتور
السيد محمد عقيل بن علي المهدلي



دار الحديث

الإمام

على بن أبى طالب

حياته الفكرية وتأثيرها فى فكر الإمام الغزالي

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار الحديث

الإمام

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

حياته الفكرية وتأثيرها في فكر الإمام الغزالي

تأليف الدكتور
السيد محمد عقيل بن علي المهدلي
أستاذ مشارك في الجامعة الإسلامية الحكومية
بقدح - دار الأمان - ماليزيا

دار الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى يعطى لمن يشاء من عباده الحكمة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبى الرحمة وعلى آله الطاهرين وصحابته المهديين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن دراسة حياة العلماء والمفكرين الذين جعلوا حياتهم الفكرية عبادة من عباداتهم لله سبحانه وتعالى مفيدة للدارسين والباحثين معا لأنها مدرسة فكرية عظيمة مفتوحة دائما لمن يريد أن يلتحق بها ويستفيد منها.

جعلوا أعمالهم الفكرية عبادة لله سبحانه عملا بأمره سبحانه، الوارد فى كثير من الآيات القرآنية الكريمة منها قوله تعالى:

﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض.... ﴾

﴿ قل سيروا فى الأرض كيف بدأ الخلق.. ﴾

﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون.. ﴾ الآية.

وغيرها كثيرة، وامتثالا لأمر الرسول ﷺ فى حديثه الشريف بقوله:

«تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا..»

«دع ما يريبك إلى مالا يريبك...» الحديث.

كان الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أحد هؤلاء المفكرين الذين عاشوا للعلم وفى العلم عبادة لله تعالى وحبا فى العلم، وهو أحد تلاميذ ومريدى الرسول ﷺ، وهو من أقرب الناس إليه وكان يعيش معه قبل البعثة وبعدها. فاستفاد منه أكثر علما وحكمة بالمقارنة إلى غيره، وإذا لم يسأله فى شىء فإنه ﷺ يحدثه حبا فيه وكرامة منه إليه بأسباب كثيرة. فلا

غرابة ولا عجب إذا لقبه ﷺ بباب مدينة العلم أو باب دار الحكمة، بهذا اللقب العظيم من الرسول الكريم ﷺ وهو فى حقيقته شهادة نبوية عظيمة كان كرم الله تعالى وجهه الوحيد المشهور بالإمامة العلمية لأول مرة فى تاريخ الإسلام بعد الرسول ﷺ . عاش الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه مع الرسول ﷺ فى العلم والعمل الصالح وعاش بعده فى العلم وللعلم وأتيحت له الفرص الذهبية للدراسة والبحوث والكتابة والتأمل والنظر أيام الخلفاء الراشدين السابقين عليه. فخرجت من عقله الكبير وعلمه الغزير العلوم والحكم والعبر والأفكار فى القضايا الاجتماعية والسياسية التى لا نجدها فى غيره من المفكرين فى القديم والحديث.

لذلك تأثر بأفكاره كثير من العلماء والمفكرين من المسلمين وغيرهم وفى العالم الإسلامى كان تأثيره واضحا وخاصة فى تفكير الإمام الغزالى رحمه الله تعالى فى كثير من الأمور والجوانب الفكرية.

وضع الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه مبادئ هامة وقواعد أساسية فى التفكير الإسلامى وخاصة فى الفكر المنهجى الذى اعتمد عليه الإمام الغزالى فى أبحاثه عن حقائق الأمور ليصل فيها إلى العلم اليقينى.

وضع الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى فكره المنهجى الخطوات الأولى للشك المنهجى الذى ظهر بالتفصيل فى فكر الإمام الغزالى وأصبح رائدا من رواده الكبار فى الفكر الإسلامى والفكر الإنسانى على السواء.

انتقل الفكر المنهجى المذكور والشك المنهجى إلى العالم الفكرى الغربى واهتم به المفكرون وتأثروا به تأثرا بعيدا وخاصة الفليسوف الفرنسى المشهور رينيه ديكارت كما هو واضح فى تأملاته فى كتابه «التأملات فى الفلسفة الأولى» المشهورة عند الباحثين فى الدراسات الفلسفية.

بدأ التفكير فى هذه الدراسة المتواضعة منذ أيام الدراسة والكتابة فى

الدكتوراه فى القاهرة. وحاولت جمع المواد العلمية من المصادر والمراجع الموجودة بصفة متقطعة ولم أبدأ فيها الكتابة إلا فى المنتصف الثانى لعام ١٩٩٥ أيام العمل فى التدريس والإدارة فى المعهد العالى للدراسات الإسلامية بروناى دار السلام. وبسبب من الأسباب توقفت عن الكتابة فيها شهورا، ثم رجعت إليها مرة ثانية وأنا فى الجامعة الإسلامية الحكومية بقدح دار الأمان ماليزيا. والحمد لله رب العالمين انتهيت من الكتابة فى هذه الدراسة بعد محاولات شاقة حتى لا تضيع منى فى بحر النسيان.

هذه الدراسة وفى هذه الحالة المتواضعة محاولة من المحاولات لتأصيل الفكر الإسلامى من المصادر الصحيحة ومن أفكار المفكرين الإسلاميين الذين تعلموا من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وفى مقدمتهم الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه الذى تعلم واستفاد من أفكاره الإمام الغزالى رحمه الله. ولكن هذا لا يدل على إنكار دور المفكرين الآخرين فى بناء الحضارة الإسلامية خاصة والإنسانية عامة لأن كل واحد منهم قد قدم مجهودات فكرية مساهمة فى بناء الحضارة وتقدمها.

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وستة فصول هى:

الفصل الأول: الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه فى سطور.

الفصل الثانى: الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه وعلوم عصره.

الفصل الثالث: الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه والبحث عن الحقيقة.

الفصل الرابع: صورة وكيفية تطبيق تفكير الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه فى تفكير الإمام الغزالى رحمه الله تعالى.

الفصل الخامس: الأفكار المعاصرة ومواجهتها بفكر الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه.

الفصل السادس: أقوال الإمام على بن طالب كرم الله وجهه فى مؤلفات الغزالى وإسحياء علوم الدين خاصة.

تأتى بعد ذلك المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى كتابة هذه الدراسة والدراسات والأبحاث التى كتبتها قبل هذه الدراسة والفهرس.

هذه الدراسة هى محاولة من المحاولات لتأصيل الفكر الإسلامى من المصادر الصحيحة تحتاج إلى مزيد من الدراسات والبحوث حتى تكون وافية وكافية إلى حد ما فى المعلومات المطلوبة فى كل فصل من فصولها وخاصة الفصل الثالث والرابع والخامس التى تحدثت فيها عن الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه المنهجى وعلاقته بالبحث عن الحقيقة وتأثيره فى فكر الإمام الغزالى رحمه الله تعالى وفى الشك المنهجى وفكرة اليقين أو العلم اليقينى فى محاولاته الجادة لمعرفة حقائق الأمور فى عصره.

كان المطلوب منى والمفروض فى نفس الوقت تأجيل إنهاء هذه الدراسة والكتابة حتى تكون على حالة مرضية وصورة مقبولة فى الدراسات والبحوث.

ولكن الأعمال الكثيرة حالت بينى وبينها واكتفيت بما تيسر لى فيها من العمل حتى لا يضيع منى هذا الموضوع كما حدث لى مرات ولغيرى من الباحثين الكبار.

أسأل الله العليم الحكيم أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ويجعله نافعا لى وللدارسين والباحثين فى محاولاتهم فى البحث عن الحقيقة ليصلوا إلى المعرفة اليقينية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم والحمد لله رب العالمين.

قدح دار الأمان ماليزيا

فى يوم الجمعة

١ من ربيع الثانى ١٤١٧ هـ/ ١٦ من أغسطس ١٩٩٦م.

أ. م. الدكتور السيد محمد عقيل بن على المهدلى

*****

الفصل الأول

الإمام علــى بــن أبــى طــالــب

كــرم الله وجــهــه

فى ســطــور

١ـ هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب واسمه شيبة بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصى واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن فهر بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[١] إلى هنا متفق عليه ومابعده مختلف فيه إلا أنهم اتفقوا على أن النسب يرجع إلى إسماعيل بن إبراهيم خليل الله ﷺ [٢] وعلىّ عليه السلام يجتمع مع النبى ﷺ فى الجد الأدنى لا يشاركه فى هذه الفضيلة إلا بنو عمه وهو ابن عم الرسول ﷺ فإن أبا طالب وعبد الله أبا النبى ﷺ أمهما فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم[٣] **إلى عدنان ثم إلى** إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

٢ـ والده: واسمه عبد المناف على المشهور واشتهر بكنيته. . . وكان من حكام قريش وساداتها ومرجعها فى الملمات[٤]، ولد قبل النبى ﷺ بخمس وثلاثين سنة[٥]. قال الواقدى: وتوفى أبو طالب فى النصف من شوال فى السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين[٦].

٣ـ والدته: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، قال أبو عمرو النمرى: وهى أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة وشهدها النبى ﷺ وتولى دفنها ونزع قميصه وألبسها إياه واضطجع فى قبرها، فلما سوى عليها التراب سئل عن ذلك فقال: «**ألبستها لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت فى قبرها لأخفف عنها عن ضغطة القبر إنها كانت**

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ٧، صـ ٢٣٣.

(٢) العلامة الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى، ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، صـ ٥٥.

(٣) الطبرى، المصدر السابق، فى نفس المكان

(٤) السيد محمود شكرى الألوسى، بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب، جـ١ صـ ٢٢٤.

(٥) نفس المكان. (٦) نفس المكان.

أحسن خلق الله صنعا إلى بعد أبى طالب».

وروى أنه ﷺ عليها وتمرغ فى قبرها وبكى وقال: «**جزاك الله من أم خيرا فلقد كنت خير أم**» وسماها أما لأنها كانت ربته ﷺ، وولدت لأبى طالب عقيلا وجعفرا وعليا وأم هانئ واسمها فاختة وجمانة وكان على أصغر ولد أبى طالب وكان أصغر من جعفر بعشر سنين وكان جعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وكان عقيل أصغر من طالب بعشر سنين(١).

فالإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه هاشمى من أبويه. وهذا يشير إلى زيادة شرف فى نسب الإمام على كرم الله وجهه. وتحدث معظم الباحثين عن هذا النسب الشريف وذكروا أنها أول هاشمية ولدت هاشميا منهم: ابن كثير فى البداية والنهاية والمحب الطبرى فى ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى والإمام ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى شرح صحيح البخارى والإمام السيوطى فى تاريخ الخلفاء، والفقيه أبو الحسن على بن محمد الشافعى الشهير بابن المغازلى فى مناقب الإمام على بن أبى طالب عليه السلام والشيخ خليل ياسين فى الإمام على رسالة وعدالة والمسعودى فى مروج الذهب ومعادن الجوهر وابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ومحمد رضا فى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين.

قال الأستاذ عباس العقاد: المشهور عن على كرم الله وجهه أنه كان أول هاشمى من أبوين هاشميين فاجتمعت له خلاصة الصفات التى اشتهرت بها هذه الأسرة الكريمة وتقاربت سماتها وملامحها فى كثير من أعلامها المقدمين وهى فى جملتها النبل والأيد والشجاعة والمروءة والذكاء، عدا المأثور فى سماتها الجسدية التى تلاقت أو تقاربت فى عدة من أولئك الأعلام(٣).

---

(١) الطبرى، المصدر السابق، ص ٥٥، ٥٦.

(٢) عباس محمود، عبقرية الإمام، ص ١٠.

(٣) ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة، جـ١، صـ١٤.

وقال الدكتور أحمد محمد الحوفى بعد أن ذكر نسب الإمام على كرم الله وجهه من أبويه: فهو هاشمى معرق فى هاشميته لأنه من أبوين هاشميين، ورث منهما خصائص هذه القبيلة التى اشتهر بها سادتها من مروءة وشجاعة ونبل ونجدة وذكاء وثقة واعتزاز ووفاء وحرية [(١)].

إن خلاصة الصفات المحمودة التى اشتهرت بها الأسرة الهاشمية ترجع إلى الأصول الطيبة والمصادر النقية اصطفاها الله سبحانه على غيرها كما ورد فى قوله ﷺ: «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم**»[(٢)].

فالهاشمية خلاصة من قريش والقرشية خلاصة من كنانة والكنانية خلاصة من بنى إسماعيل وبنو إسماعيل خلاصة من ولد إبراهيم عليه السلام.

٤ ـ ولادته كرم الله تعالى وجهه:

قال الأستاذ توفيق أبو علم: ولد رضى الله عنه بمكة داخل البيت الحرام فى يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة ولم يولد قبله ولا بعده مولود فى بيت الله سواه[(٣)].

ذكر أن أبى الحديد هذا الموضوع فى شرح نهج البلاغة وقال: واختلف فى مولد على عليه السلام أين كان؟ فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد فى الكعبة والمحدثون لا يعترفون بذلك ويزعمون أن المولود فى الكعبة حكيم بن

---

(١) الدكتور أحمد محمد الحوفى، بلاغة الإمام على، صـ ٣٩.
(٢) السيوطى، الجامع الصغير، جـ١، صـ ٢٣٢ (الطبع الجديد).
(٣) الأستاذ توفيق أبو علم، الإمام على بن أبى طالب، ص٩.

حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى[(١)].

والحقيقة ليس من الشيعة فقط يذهبون إلى أن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولد فى داخل الكعبة، بل هناك كثير من أهل السنة يقولون هذا القول. وهذا أمر واضح فى دراسة الشيخ خليل ياسين فى كتابه «الإمام علىّ رسالة وعدالة»، قدم فى دراسته قسمين من المصادر والمراجع التى أطلع عليها القسم الأول من أئمة أهل السنة والثانى من أعلام الشيعة وعدد هذه المصادر سبعة وثلاثون مصدرا.

* مصادر من أئمة أهل السنة:

١ـ مروج الذهب، جـ ٢ص ٢، تأليف أبى الحسن المسعودى الهذلى .

٢ـ تذكرة خواص الأمة، ص ٧، تأليف سبط بن الجوزى الحنفى.

٣ـ الفصول المهمة ص ١٤ تأليف ابن الصباغ المالكى.

٤ـ نور الأبصار ص ١٤ تأليف السيد محمد الشبلنجي.

٥ـ نزهة المجالس ٢ص ٢٠٤ تأليف عبد الرحمن الصفورى.

٦ـ مفتاح النجا تأليف ميرزا محمد البدخشى.

٧ـ مدارج النبوة تأليف الشيخ عبد الحق الدهلوى.

٨ـ روائح المصطفى ص ١٠ تأليف صدر الدين أحمد الببردوانى.

٩ـ المناقب تأليف محمد صالح الترمذى.

١٠ـ السيرة النبوية جـ ١ص ١٥٠ تأليف نور الدين الشافعى.

١١ـ مطالب السؤول ص ١١ تأليف محمد بن طلحة الشافعى.

١٢ ـ محاضرة الأوائل ص ١٢٠ تأليف الشيخ علاء الدين الكشوارى.

١٣ ـ كتاب الحسين ص ١٦ تأليف السيد على جلال الدين.

(١) ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة، جـ١، صـ ١٤.

١٤ ـ شرح الشفاج ١ ص ١٥١ تأليف الشيخ على القارى الحنفى[١].

*** مصادر من أعلام الشيعة:**

١ـ المناقب جـ١ صـ ٣٥٩ تأليف ابن شهر آشوب السروى المتوفى ٥٨٨ هـ.

٢ ـ أعلام الورى ص ٩٣ تأليف أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسى المتوفى ٥٤٨ هـ صاحب مجمع البيان.

٣ـ كنز الفوائد ص ١١٥ تأليف الشيخ أبى الفتح الكرجكى المتوفى ٤٤٩ هـ.

٤ـ التهذيب ومصباح المتهجد والأمالى تأليف شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى المتوفى ٤٦٠ هـ.

٥ ـ شرح القصيدة البائية للحميرى ص ٥١ تأليف الشريف المرتضى المتوفى ٤٣٦ هـ.

٦ـ خصائص الأمة تأليف الشريف المرتضى المتوفى ٤٠٦ هـ.

٧ـ تحفة الأبرار فى الفصل الثامن والباب الرابع تأليف عماد الدين الحسن الطبرى الآملى.

٨ ـ حاوى الأقوال تأليف الشيخ عبد النبى الجزائرى المتوفى ١٠٢١ هـ.

٩ـ محبوب القلوب تأليف الشيخ محمد الشيخ على اللاهيجى.

١٠ ـ تقويم المسنين تأليف المولى المحسن الكلشانى المتوفى ١٠٩١ هـ.

١١ ـ إحقاق الحق تأليف القاضى نور الله المرعشى المستشهد سنة ١٠١٩ هـ.

١٢ ـ المصباح ص ٥١٢ تأليف الشيخ تقى الدين الكفعمى.

١٣ـ الصراط المستقيم تأليف الشيخ على بن يونس البياضى العاملى المتوفى سنة ٨٧٧هـ.

١٤ ـ كشف الغمة تأليف بهاء الدين الأربلى المتوفى سنة ٦٩٢ هـ.

(١) الشيخ خليل ياسين، الإمام علىّ رسالة وعدالة، ص ١٦، ١٧.

١٥ ـ كشف الحق وكشف اليقين تأليف العلامة الحسن بن يوسف الحلى المتوفى سنة ٧٢٦هـ.

١٦ ـ العمدة تأليف ابن البطريق شمس الدين أبو الحسين يحيى بن الحسن الحلى المتوفى سنة ٦٠٠.

١٧ ـ عمدة الطالب ص ٤١ تأليف جمال الدين بن عتبة المتوفى سنة ٨٢٨هـ.

١٨ ـ روضة الواعظين ص ٦٧٠ تأليف أبى على بن الفتال النيسابورى.

١٩ ـ نزهة المحبين فى فضائل أمير المؤمنين ص ٢، ٨ تأليف الشيخ جعفر نقدى.

٢٠ ـ تاريخ قم ص ١٩١ تأليف الحسن بن محمد بن الحسن القمى.

٢١ـ سفينة البحار جـ ٢ص ٢٢٩ تأليف الشيخ عباس القمى المتوفى سنة ١٣٥٩ هـ.

٢٢ ـ شرح نهج البلاغة جـ ١ ص ٧١ تأليف الحاج ميرزا حبيب الخوئى[(١)].

لقد رجح الشيخ خليل ياسين قول القائلين بأن الإمام على كرم الله وجهه ولد داخل الكعبة وقال: لقد تواترت الأخبار وتظافرت الأحاديث أن فاطمة بنت أسد ولدت عليا فى جوف الكعبة ولم يولد فيها أحد سواه قبله وبعده. وأن القارئ الكريم ليجد أن هذا الحدث التاريخى الفريد فى نوعه أنه من المتسالم عليه فى غير واحد من مصادر القوم[(١)]. وأنه لمن الشائع المتواتر أن فاطمة بنت أسد أم الإمام على كانت ذات يوم تطوف بالكعبة تدعو ملتمسة من آله إبراهيم بركة ونعما، فإذا بها تحس بأعياء وآلام أخذت تشتد حتى لم يعد صبر لها عليها واحتمال لها، وكانت وقتئذ فى نهاية حملها فلاذت

(١) الشيخ خليل ياسين، المرجع السابق، صـ ١٧ ـ ١٩.
(٢) نفس المراجع، صـ ١٦.

بالأستار المقدسة تختبئ وراءها وهناك ودون أن تستطيع استعانة أحد وضعت مولودا ذكرا فحملته ومضت به إلى بيتها وثيدة شاحبة اللون يغطى العرق وجهها والجبين. وفى البيت وجدت أبا طالب فألقت بين يديه وليدها وطلبت منه أن يسميه حيدرة باسم أبيها غير أن أبا طالب قرر أن يسميه عليا فكان له ما أراد.

ذلك كان مولد ابن أبى طالب فى بيت الله، الركن الطاهر المقدس أبصر النور، فإذا هو يستمد من مكان مولده طهرا وقداسة لازماه مدى حياته. لقد أبصر النور فى الكعبة وهى نعمة لم تقدر لسواه من البشر، وإذا هو بعد كر السنين يهوى شهيدا فى بيت آخر من بيوت الله والصلاة بين شفتيه.

لكأن الله أبى إلا أن يهبه الحياة فى مسجد وأن يسترد منه الحياة فى مسجد. فكان بيت الله نقطة انطلاقه إلى الدنيا ونقطة انطلاقه إلى الآخرة وكان بيت الله نهاية مطافه(١).

بالإضافة إلى المصادر والمراجع التى اعتمد عليها الشيخ خليل ياسين فى دراساته عن مولد الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، اطلعنا على كتاب مناقب الإمام على بن أبى طالب عليه السلام للفقيه أبى الحسن على بن محمد الشافعى الشهير بابن المغازلى أورد فيه المؤلف رواية بسند متصل إلى على بن الحسين رضى الله عنهما أنه ذكر امرأة اسمها زيدة بنت قريبة بن العجلان من بنى ساعدة كانت تحكى للإمام الحسين بن على رضى الله عنهما مولد الإمام على كرم الله وجهه وذكرت أن هذه الرواية سمعتها من أمها أم عمارة بنت عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان الساعدى وقد صرحت بأن الإمام على بن أبى طالب ولد فى الكعبة (٢).

وكتاب الإمام على عليه السلام من المهد إلى اللحد للسيد محمد كاظم

(١) الشيخ خليل ياسين، المرجع السابق، صـ ١٧ ـ ١٩.

(٢) الفقيه أبو الحسن على بن محمد الشافعى، مناقب الإمام على عليه السلام، صـ ٦، ٧.

القزوينى، كتب فيه موضوعا خاصا بعنوان: على وليد الكعبة [١]، مع إيراد أقوال العلماء من أهل السنة والشيعة فى صحة رواية مولد الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه داخل الكعبة.

بناء على آراء القائلين بصحة هذه الرواية نقول أن فى هذا الحدث التاريخى الفريد من نوعه إشارات ربانية تدل على أن هذا المولود سيكون محفوظا من عبادة الأصنام والشرك بالله سبحانه وأنه لن يسجد إلا لرب الكعبة المشرفة رب المشارق والمغارب وأنه سيكون إماما عظيما للمسلمين فى العلوم والأعمال الصالحة وقدوة حسنة إلى فعل الخيرات وترك المنكرات بعد الرسول ﷺ.

لقد شاءت الأقدار والإرادات الأزلية أن يكون هذا المولود إماما للمسلمين وهيأت له الأسباب وأتاحت له الفرص. وكان حضور ابن عمه داخل دار والده من أعظم تلك الأسباب وأهمها، إنه نبينا محمد ﷺ مربيه فى الروح والجسد ومعلمه ومرشده وقائده ودليله عاش معه منذ صغره من قبل النبوة ولم يفارقه بعدها إلا بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

٥ ـ تربية الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه:

ذكرت المصادر والمراجع أن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه تربى عند ابن عمه الكريم الرسول ﷺ قبل البعثة بطلبه ﷺ وموافقة عمه أبى طالب منذ أن كان عمره ست سنين.

إن قريشا أصابتهم شدة وكان أبو طالب ذا عيال، فقال رسول الله ﷺ للعباس: «**إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ماترى فانطلق بنا فلنخفف من عياله**». فقال العباس: نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إا نريد أن نخفف عنك عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه. فقال

(١) السيد محمد كاظم القزوينى، الإمام على من المهد إلى اللحد. صـ ١٨

لهما أبو طالب: إذا تركتما لى عقيلا فاصنعا ماشئتما. فأخذ رسول الله ﷺ عليا فضمه إليه فلم يزل علىّ من النبى ﷺ حتى بعثه الله عز وجل فتابعه وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر مع العباس[١].

قال الإمام ابن حجر العسقلانى: ولد قبل البعثة بعشر سنين على الراجح وكان قد رباه النبى ﷺ من صغرة لقصة مذكورة فى السيرة النبوية فلازمه من صغره فلم يفارقه إلى أن مات ﷺ[٢].

هذه المدة التى عاش فيها الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى حاجة إلى دراسات وأبحاث حتى نستطيع أن نصل إلى حقيقة تربية الرسول ﷺ للإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه. إنها حياة الإمام الغالية بدون نقاش لا يملكها غيره من الصحابة إنها سبع وعشرون سنة تقريبا، إنها أكبر الفضائل والنعم للإمام، إنها حياة إسلامية فى صورتها الكاملة المتكاملة وضع فيها الرسول ﷺ بصماته الكريمة وقد ظهرت تأثيراتها العجيبة بجلاء فى شخصية الإمام على كرم الله وجهه وأخلاقه الكريمة وعلومه الواسعة العميقة وشجاعته الخارقة للعادة وزهده عن الدنيا ومافيها. وكان الرسول ﷺ يحبه حبا شديدا وقد رباه على هذا الحب واختاره زوجها لبنته السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها.

٦ـ حياة الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى:

انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وانشغل المسلمون بمبايعة الخليفة الأول سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه. وروى أن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه تأخر عن المبايعة لانشغاله بجمع القرآن الكريم وبعد انتهائه من الجمع ذهب إلى الخليفة الأول وبايعه.

(١) الطبرى، المصدر السابق، صـ ٥٨، ابن هشام، السيرة النبوية، جـ١، صـ ٢٨٢.

(٢) ابن حجر العسقلانى، فتح البارى، جـ٧، صـ ٧١.

كان الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى أيام الخلفاء الراشدين قبله عاكفا على دراسة القرآن الكريم وتدريسه للصحابة والتابعين وكذلك فعل فى الحديث النبوى الشريف. وقد بذل مجهوداته لمساعدة الخلفاء الراشدين الثلاث لحل المشكلات المتعلقة بالأحكام والقضاء، وقد كان كرم الله وجهه أفقه الصحابة .

وفى خلال خلافة الخلفاء الراشدين السابقين عليه أتيحت للإمام الفرص الطيبة للدراسة والبحوث والتحليل والنقد ووضع المبادئ الهامة للمناهج الفكرية فى البحث عن الحقيقة والحياة الصوفية وغيرها من النواحى العلمية والعملية.

لقد ظهر بجلاء تأثير الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه الفكرى فى المفكرين القدماء والمحدثين من المتكلمين والفلاسفة والصوفية والفقهاء والمفسرين والمحدثين ودرس بعض المعاصرين هذا الموضوع ولقبه واحد منهم بموسوعة المعارف العربية والإسلامية، ويبدو هذا واضحا فى الحديث عن علوم الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فيما بعد.

٧ـ الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولقب الإمام:

تناول الباحثون هذا الموضوع بالبحث والدراسة منهم العقاد[١] من المعاصرين. ويبدو من دراساتهم أن لقب «الإمام» لقب علمى فى المقام الأول ومفهوم العلم هنا واسع وليس بمبالغ إذا قلنا: أن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أول إمام فى العلم بعد الرسول ﷺ، إه تلميذ النبى ﷺ تتلمذ عليه أكثر من عشرين سنة وعكف على البحث والدراسة فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فى أيام الخلفاء الراشدين قبله. إنها مدة طويلة قضى فيها الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أوقاته فى العلم وللعلم. لقد وضع خلالها الأسس والمبادئ الهامة والمناهج فى الفكر الإسلامى

(١) العقاد، المرجع السابق، صـ ١٧، وتوفيق أبو علم، المرجع السابق. صـ ٣٧.

وظهرت آثارها بجلاء فى مؤلفات القدماء والمعاصرين.

٨ـ الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه باب مدينة العلم:

لقب الرسول ﷺ: «**الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بباب مدينة العلم فى حديث: أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب**»[١].

قد أشار هذا الحديث إلى مكانة الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه العظيمة فى العلم وأنه شهادة نبوية بالإمامة العلمية وأنه باب إلى معرفة العلم فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والفقه وغير ذلك من العلوم.

ناقش العلماء الحديث المذكور مناقشة طويلة منهم السيوطى قال فيه:

وأخرج البزار والطبرانى فى الأوسط عن جابر بن عبد الله وأخرج الترمذى والحاكم عن علىّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا مدينة العلم وعلىّ بابها**». هذا حديث حسن على الصواب لا صحيح كما قال الحاكم ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزى والنووى وقد بينت حاله فى التعقبات على الموضوعات[٢].

وورد فى آخر كتاب فتح الملك العلى بصحة حديث باب: مدينة العلم على للحافظ الغمارى الحسنى أن السيوطى قال: كنت أجيب دهرا عن هذا الحديث بأنه حسن إلى أن وقفت على تصحيح ابن جرير لحديث على فى تهذيب الآثار مع تصحيح الحاكم لحديث ابن عباس فاستخرت الله تعالى وجزمت بارتقاء الحديث من مرتبة الحسن إلى مرتبة الصحيح[٣].

---

(١) السيوطى، المصدر السابق، صـ ٤١٥، وذكر رواية أخرى: «**أنا دار الحكمة وعلى بابها**» رواه الترمذى عن على.

(٢) السيوطى، تاريخ الخلفاء، صـ ١٥٩.

(٣) الحافظ الغمارى الحسنى، فتح الملك العلى بصحة حديث باب: مدينة العلم على، صـ١١٦.

وقام بعد الإمام السيوطى رحمه الله تعالى الحافظ الغمارى الحسنى بدراسة الحديث المذكور وقال فى مقدمة دراسته: أما حديث باب العلم فلم أر من أفرده بالتأليف ولا وجه العناية إليه بالتصنيف، فأفردت هذا الجزء بجمع طرقه وترجيح قول من حكم بصحته سالكا فيه سبيل العدل والإنصاف متجنبا طريق التعصب والاعتساف وسميته «فتح الملك العلى بصحة باب مدينة العلم على»(١)، قال فيه بعد دراسة أقوال العلماء بصحة حديث باب العلم: والآثار بهذا كثيرة ويغنى عنها ماهو متداول من حكمه العجيبة ومعارفه الغريبة التى لم ينقل مثلها عن غيره بحيث من وقف عليها رأى العجب العجاب وجزم بأنه البحر العباب، وذلك أعظم دليل على صدق هذا الخبر وأنه باب مدينة علم النبى ﷺ(٢).

والدراسات القادمة فى الفصول الآتية تؤكد صحة ماذهب إليه الحافظ الغمارى الحسنى بأن الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه هو البحر العباب فى العلم. وأنه حقا باب مدينة العلم أو باب دار الحكمة بعلومه الغزيرة واجتهاداته الصحيحة وأفكاره المنهجية فى المجالات الكثيرة.

*****

---

(١) نفس المصدر، صـ ٤.

(٢) نفس المصدر، صـ ٤٩.

الفصل الثانى

الإمام علـى بـن أبـى طـالـب
كـرم الله وجـهـه
وعلوم عصره

١ ـ القرآن الكريم

* كتابة القرآن الكريم وجمعه:

جاء الإسلام وفى العرب قلة يعرفون القراءة والكتابة حتى قيل أنهم كانوا بمكة نحو سبعة عشر رجلا وامرأتان منهم عمر وعثمان وحفصة وأم كلثوم وكانوا بالمدينة نحو أحد عشر رجلا[١].

وكان الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه من كتاب الوحى [٢] المشهورين عند الصحابة، كتب القرآن الكريم كله وجمعه فى مصحف عرف بمصحف أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه[٣].

قال ابن المنادى: حدثنى الحسن بن العباس قال أخبرت عن عبد الرحمن ابن أبى حماد عن الحكم بن ظهير السدوسى عن عبد خير عن على عليه السلام أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبى ﷺ فأقسم أنه لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن. فجلس فى ثلاثة أيام حتى جمع القرآن فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه. وكان المصحف عند أهل جعفر ورأيت أنا فى زماننا عند أبى يعلى حمزة الحسنى رحمه الله مصحفا قد سقط منه أوراق بخط الإمام على بن أبى طالب يتوارثه بنو حسن على مر الزمان[٤]. وهذا ترتيب السور من مصحف الإمام على كرم الله وجهه:

الجزء الأول: البقرة، ويوسف، والعنكبوت، والروم، ولقمان، وحم السجدة، والذاريات، وهل أتى على الإنسان وألم تنزيل والسجدة، والنازعات،

---

(١) الدكتور محمد أحمد الحوفى، بلاغة الإمام على، صـ ٢٣.

(٢) الزرقانى، مناهل العرفان فى علوم القرآن، جـ١، صـ ٢٤٦، الدكتور صبحى الصالح، مباحث فى علوم القرآن، صـ ٦٩، مناع القطان، مباحث فى علوم القرآن، صـ ١٢٤.

(٣) النديم (الوراق)، كتاب الفهرست، صـ ٣٠.

(٤) نفس المكان.

وإذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت، وسبح اسم ربك الأعلى ،ولم يكن .

الجزء الثانى: آل عمران، وهود، والحج، والحجر، والأحزاب، والدخان، والحاقة، وسأل سائل، وعبس وتولى، والشمس وضحاها، وإنا أنزلناه، وإذا زلزلت الأرض، وويل لكل همزة، وألم تر كيف، ولايلا فى قريش .

الجزء الثالث: النساء، والنحل، والمؤمنون، ويس، وحمعسق، والواقعة، وتبارك الملك، ويا أيها المدثر، وأرأيت، وتبت، وقل هو الله أحد، والعصر، والقارعة، والسماء ذات البروج، والتين والزيتون ،وطس، والنحل .

الجزء الرابع: المائدة، ويونس، ومريم، وطسم، والشعراء، والزخرف، والحجرات، وق، واقتربت الساعة، والممتحنة، والسماء والطارق، ولا أقسم بهذا البلد، وألم نشرح لك، والعاديات، وإنا أعطيناك الكوثر، وقل يا أيها الكافرون .

الجزء الخامس:الأنعام، وسبحان، واقتربت، والفرقان، وموسى، وفرعون، وحم، والمؤمن، والمجادلة، والحشر، والجمعة، والمنافقون، ون والقلم و إنا أرسلنا نوحا ،وقل أوحى إلى، والمرسلات، والضحى، وألهاكم .

الجزء السادس: الأعراف ،وإبراهيم، والكهف، والنور، وص ،والزمر .

الجزء السابع: الشريعة، والذين كفروا، والحديد، ولا أقسم بيوم القيامة، وعم يتساءلون، والغاشية ،والفجر ، والليل ، وإذا جاء نصر الله .

الجزء الثامن: الأنفال، وبراءة، وطه، والملائكة، والصفات، والأحقاف، والفتح، والطور، والنجم، والصف، والتغابن، والطلاق، والمطففون، والمعوذتين[١] .

ذكر السيوطى أن مصحف الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه كان

(١) روكس بن زائد العزيزى، الإمام على أسد الإسلام وقديسه، صـ ٦١ ـ ٦٧ .

أوله اقرأ ثم المدثر ثم نون ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكى والمدنى[١]. وهذا هو المشهور عند الباحثين ويبدو هذا الترتيب كان فى عهد النبى ﷺ وأما الترتيب الأول فيظهر أنه قام به بعد وفاة الرسول الله ﷺ. ومن المحتمل أن هذا هو المراد بقوله حين قال له سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه: ما أقعدك عنى؟ قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسى أن لا ألبس ردائى إلا لصلاة حى أجمعه[٢].

* حفظ القرآن الكريم:

النصوص الواردة فى كتب السير والسنن تدل على أن الصحابة كانوا يتنافسون فى حفظ القرآن ويحفظونه أزواجهم وأولادهم[٣].

ولكن هذا لا يدل على أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا كلهم يحفظون القرآن كله. والذين كانوا يحفظون القرآن الكريم كله فى عهد النبى ﷺ قليلين. وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنهم كانوا اثنى عشر رجلا منهم الإمام على كرم الله وجهه[٤].

فهناك فى عهد النبى ﷺ من حفظ القرآن الكريم كله وهناك من حفظ جزءا أو جزئين وسورة أو سورتين. وكل واحد منهم يطلق عليهم لفظ حافظ.

قال الدكتور عبد العزيز غنيم عبد القادر: أن لفظ الحافظ لم يكن مقصورا فى عهد النبى ﷺ على من حفظ القرآن كله وإنما كان يطلق عليهم وعلى غيرهم ممن كانوا يحفظون الجزء والجزئين والسورة والسورتين[٥].

---

(١) السيوطى، الإتقان فى علوم القرآن، جـ١، صـ ٥٩.

(٢) نفس المكان. (٣) مناع القطان، المرجع السابق، صـ ١٢٠.

(٤) الدكتور عبد العزيز غنيم عبد القادر، القرآن وحفاظه فى عهد النبى ﷺ، صـ ٨٤.

(٥) نفس المرجع، صـ ٨٦.

* قراءة القرآن الكريم:

كان الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه يقرأ القرآن الكريم بتفكر وتخشع وتقرب إلى الله تعالى وهذه القراءة تظهر بجلاء فى نصيحته لابنه الحسين لقد نصحه أن يبذل جهده لقراءة القرآن كما قرأ فقال له:

أبنى أن الذكر فيه مـــواعظ	فمن الذى بعظـــاته يتأدب
فاقرأ كتاب الله جهـــدك واتله	فيمن يقـــوم به هناك وينصب
بتفكر وتخشـــع وتقرب	أن المقرب عنده المتقـــرب
واعبد إلهك ذا المعارج مخلصا	وانصت إلى الأمثال فيما تضـــرب
وإذا مررت بآية وعظيــــة	تصف العذاب فقف ودمعك يسكب
يامن يعذب من يشاء بعـــدله	لا تجعلنى فى الذين تعـــذب
أنى أبوء بعثـــرتى وخطيئتى	هربا إليك وليس دونك مهـــرب
وإذا مررت بآية فى ذكـــرها	وصف الوسيلة والنعيـــم المعجب
فاسأل إلهـــك بالإنابة مخلصا	دار الخلود ســـؤال من يتقرب(١)

إنها قراءة مفكر ومتخشع ومتقرب إلى الله تعالى، إنها تدل اهتمام الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه البالغ بألفاظ القرآن الكريم ومعانيها وبلاغته وأسراره وأشاراته وعقائده وأحكامه وأخلاقه وتوجيهاته لاستعمال العقل للتفكر فى الكونيات والبحث عن الحقيقة وغير ذلك من الموضوعات:

* علوم القرآن الكريم:

المراد بعلوم القرآن هنا هى علوم القرآن بالمعنى الإضافى والإضافة بين الكلمتين كلمة العلوم وكلمة القرآن تدل على طوائف المعارف المتصلة بالقرآن وهى العلوم التى تخدم القرآن الكريم ويستند إليها منها: علم التفسير وعلم

---

(١) ديوان الإمام على، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى، صـ ٤٤، ٤٥.

القراءات وعلم أسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم إعراب القرآن وعلوم اللغة وغيرها من العلوم التى ذكرها العلماء فى مؤلفاتهم منهم الزرقانى فى مناهل العرفان فى علوم القرآن.

كانت هذه العلوم محفوظة فى صدور مشاهير الصحابة رضى الله عنهم ونشروها بين الصحابة والتابعين بالرواية والتلقين لا بالكتابة والتدوين. وكان الإمام على كرم الله وجهه أحد علماء هذه العلوم وكان يقول: سلونى عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل، أخرجه ابن سعد وغيره عن أبى الطفيل(١).

وقال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت إن ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا سؤلا (٢).

ذكر الزرقانى أن لفظ علوم القرآن بالمعنى الإضافى قد جعل علما على علوم القرآن كفن مدون. وأصبح مدلوله بعد ذلك غير مدلوله فى المعنى الإضافى وعرف هذه اللفظ أى علوم القرآن كفن مدون بأنه مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره ومنسوخه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك...(٣). وقد شارك الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه مشاركة كبيرة فى تأسيس هذه العلوم وهو مرجع من المراجع فيها بدون نقاش.

* تفسير القرآن الكريم:

قال السيوطى رحمه الله تعالى: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وأبو

---

(١) الهيثمى، الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة، صـ ١٢٨، والسيوطى المصدر السابق، جـ٢، صـ ١٨٧.

(٢) نفس المكان.

(٣) الزرقانى، المصدر السابق، جـ١، صـ ٢٧.

موسى الأشعرى وعبد الله بن الزبير. أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم على بن أبى طالب والرواية عن الثلاثة نذرة جدا وكأن السبب فى ذلك تقدم وفاتهم[(١)].

ثم قال: وأما على (كرم الله وجهه) فروى عنه الكثير وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبى طفيل قال: شهدت عليا يخطب وهو يقول: سلونى فوالله لا تسألونى عن شىء إلا أخبرتكم وسلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية الا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار أن فى سهل أم فى جبل. وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود قال: أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن وأن على بن أبى طالب عنده من الظاهر والباطن[(٢)].

يدل هذا القول من السيوطى وتدل الروايات التى ذكرها أن الإمام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه كان من كبار المفسرين، وليس بمبالغ إذا قلنا أنه أعلم بكتاب الله تعالى بعد الرسول ﷺ ويظهر صدق هذا القول بجلاء إذا نظرنا إلى قوله: لو شئت أن أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت[(٣)].

علق الإمام السيوطى على هذا القول بقوله: وبيان ذلك أنه إذا قال: الحمد لله رب العالمين، يحتاج تبيين معنى الحمد وما يتعلق به الاسم الجليل الذى هو الله وما يليق به من التنزيه ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده وهى ألف عالم وأربعمائة فى البر وستمائة فى البحر، فيحتاج إلى بيان ذلك كله. فإذا قال: الرحمن الرحيم يحتاج إلى بيان الاسمين الجليلين وما يليق بهما من الجلال وما معناهما، ثم يحتاج إلى

(١) السيوطى، المصدر السابق، جـ٢ صـ١٨٧.

(٢) نفس المكان.

(٣) نفس المصدر، صـ ١٨٦.

الأسماء والصفات، ثم يحتاج إلى بيان الحكمة فى اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما. فإذا قال: ملك يوم الدين، يحتاج إلى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والأهوال وكيفية مستقره فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، يحتاج إلى بيان المعبود من جلالته والعبادة وكيفيتها وصفتها وأدلتها على جميع أنواعها والعابد فى صفته والاستعانة وأدائها وكيفيتها. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة، يحتاج إلى بيان الهداية ماهى والصراط المستقيم وأضداده وتبيين المغضوب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا النوع وتبيين المرضى عنهم وصفاتهم وطريقتهم. فعلق هذه الوجوه يكون ما قاله على من هذا القبيل(١).

لقد قال الإمام الرازى رحمه الله تعالى مثل هذا القول فى تفسيره لسورة الفاتحة: اعلم أنه مر على لسانى فى بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة(٢).

إذا كان الإمام الرازى استطاع أن يستنبط من فوائد سورة الفاتحة ونفائسها عشرة آلاف مسألة فما قولنا فى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه البحر العباب فى العلم وباب مدينة علم الرسول ﷺ. تلقى القرآن الكريم من الرسول ﷺ وحفظه كله وتعلم تفسيره منه ﷺ فى سنوات طويلة وعكف على دراسته وتدريبه بعد انتقال الرسول ﷺ مدة طويلة.

قال الأستاذ الدكتور الذهبى: جمع على رضى الله عنه إلى مهارته فى القضاء والفتوى علمه بكتاب الله وفهمه لأسراره وخفى معانيه فكان أعلم الصحابة بمواقع التنزيل ومعرفة التأويل. وقد روى عن ابن عباس أنه قال: ما أخذت من تفسير القرآن فعن على بن أبى طالب (كرم الله وجهه. . . (٣).

---

(١) السيوطى، المصدر السابق، جـ٢، صـ ١٨٦.

(٢) الرازى، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، جـ١ صـ ١١.

(٣) الذهبى، التفسير والمفسرون، جـ١، صـ ٩٠، ٩١

إذا كان الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أعلم الصحابة بكتاب الله كما قال الذهبى وغيره، فهذا أمر يحتاج إلى دراسات وأبحاث ومحاولات جادة فى جمع تفسير الإمام على بن أبى طالب كرم الله وكتابته لمعرفة منهجه فى التفسير وسعة علمه بالقرآن الكريم ليستفيد منه الدارسون والباحثون.

*****

٢ ـ الحديث النبوى الشريف

الكلام عن علم الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بالحديث هو فى الحقيقة الكلام عن حياته الطيبة المباركة مع الرسول ﷺ فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

قال الشيخ خليل ياسين فى وصف علم الإمام على كرم الله وجهه بالحديث:

أما علمه بالحديث فلا يشق له فيه غبار وليس فى ذلك ما يستغرب وقد رافق الإمام (كرم الله وجهه) النبى ﷺ أطول زمن رافقه فيه مجاهد أو صحابى فسمع منه ما سمعه الآخرون وما لم يسمعوه. ويقال أن عليا (كرم الله وجهه) لم يكن يروى من الحديث إلا ما سمعه بنفسه من الرسول ﷺ لأنه كان مطلق الإيمان بأن كلمة واحدة من حديث النبى ﷺ لم تفت قلبه وأذنيه وقيل لعلى: مالك أكثر أصحاب رسول الله ﷺ حديثا؟ فقال: إنى كنت إذا سألته أنبأنى وإذا سكت ابتدأنى[١].

يبدو فى هذا الوصف بأن المراد بالحديث هو الحديث القولى فلا يدخل فيه الفعل والتقرير والصفة الخلقية والخلقية والسير والمغازى وبعض أخبار الرسول ﷺ قبل البعثة ولذلك يذكر المحدثون فى كتبهم هذه المباحث

---

(١) الشيخ خليل ياسين، المرجع السابق، صـ ٧٦، ٧٧، وجورج جرداق، على وحقوق الإنسان، صـ ٩٨.

ويعتنون بها اعتناء شديدا ككتب الشمائل والجوامع والخصائص [١].

بناء على مفهوم الحديث عند المحدثين والفقهاء، فإن علم الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه يشمل الجوانب كلها وهذه لا نجدها كاملة عند غيره من الصحابة رضى الله عنهم. والسبب فى ذلك أنه لازم الرسول ﷺ من صغره ولم يفارقه إلى أن مات ﷺ [٢].

بالإضافة إلى ذلك، فإن الإمام كرم الله وجهه دائما يتقدم بالسؤال إلى النبى ﷺ، وإذا لم يسأله فإن الرسول ﷺ يحدثه.

قال العلامة الهيثمى رحمه الله تعالى: أخرج ابن سعد عن على أنه قيل له: مالك أكثر أصحاب رسول الله ﷺ حديثا؟ قال: إنى كنت إذا سألته أنبأنى وإذا سكت ابتدأنى [٣].

هذا يدل على أن الإمام كرم الله وجهه يحب العلم ويهتم به بالبحث عنه من مصدره وهو الرسول ﷺ وإذا نظرنا إلى الأحاديث المروية المدونة فى البخارى ومسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغير ذلك، فإن مرويات الإمام كرم الله وجهه التى وردت ودونت بعدد لا بأس به مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

هذا العدد القليل من مرويات الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه لفت أنظار الباحثين المنصفين وفى مقدمتهم الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى قال فضيلته: وكان (الإمام كرم وجهه) أكثر اتصالا برسول الله ﷺ، فقد رافق الرسول ﷺ وهو صبى قبل أن يبعث عليه السلام واستمر معه إلى

---

(١) الدكتور السيد محمد بن علوى المالكى الحسنى، المنهل اللطيف فى أصول الحديث الشريف، صـ ٨، ٩.

(٢) العسقلانى، المصدر السابق، جـ ٧، صـ ٧١

(٣) الهيثمى، المصدر السابق، صـ ١٢٣، الترمذى، السنن، جـ٥، صـ ٣٠١.

أن قبض الله تعالى رسوله إليه. ولذا كان يجب أن يذكر له فى كتب السنة أضعاف ماهو مذكور فيها.

وإذا كان لنا أن نتعرف السبب الذى من أجله اختفى عن جمهور المسلمين بعض مرويات على وفقهه، فإنا نقول أنه لابد أن يكون للحكم الأموى أثر فى اختفاء كثير من آثار على فى القضاء والإفتاء؛ لأنه ليس من المعقول أن يلعنوا عليا فوق المنابر وأن يتركوا العلماء يتحدثون بعلمه وينقلون فتاويه وأقواله للناس وخصوصا ما كان يتصل منها بأساس الحكم الإسلامى(١).

ثم قال: ولكن هل كان اختفاء أكثر آثار على رضى الله عنه وعدم شهرتها بين جماهير المسلمين سبيلا لا ندثارها وذهابها فى لجة التاريخ حيث لا يعلم بها أحد. أن عليا رضى الله عنه قد استشهد وقد ترك وراءه من ذريته أبرارا أطهارا كانوا أئمة فى علم الإسلام وكانوا ممن يقتدى بهم. ترك ولديه من فاطمه (الزهراء رضى الله عنها) الحسن والحسين وترك رواد الفكر محمد بن الحنفية، فأودعهم رضى الله عنه ذلك العلم. وقد قال ابن عباس: أنه ما أنتفع بكلام بعد كلام رسول الله ﷺ كما انتفع بكلام على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

لقد قام أولئك الأبناء بالمحافظة على تراث أبيهم الفكرى وإمام الهدى فحفظوه من الضياع وقد انتقل معهم إلى المدينة لما انتقلوا إليها بعد استشهاده رضى الله عنه.

وبذلك ننتهى إلى أن البيت العلوى فيه علم الرواية كاملة عن على رضى الله عنه رووا عنه مارواه عن الرسول كاملا أو قريبا من الكمال ورووا عنه فتاويه وفقهه كاملا أو قريبا من الكمال واستكنوا بهذا العلم المشرق فى ركن من البيت الكريم(٢).

---

(١) الإمام محمد أبو زهرة، الإمام الصادق، صـ ١٦٢.

(٢) الإمام محمد أبو زهرة، المرجع السابق. صـ ١٦٣

هذه النتيجة التى وصل إليها الإمام أبو زهرة بعد دراسات جادة وأبحاث طويلة تؤكد صحة الرواية القائلة بأن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أكثر الصحابة حديثا وأن اختفاء عن جمهور المسلمين بعض مروياته كان سببه فى المقام الأول سياسيا وأن بعض مروياته كرم الله وجهه محفوظ عند أبنائه وخاصة عند الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وأبناء أبنائهم فى العالم العربى والإسلامى، لقد قام هؤلاء الأبناء والأحفاد رضى الله عنهم أجمعين بحفظ ومحافظة مرويات الإمام كرم الله وجهه وعلومه وأقواله وأفكاره وحبه الشديد فى العلم.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الحسن البصرى رضى الله عنه ـ كان تلميذا للإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه. كان يتحدث بالأحاديث النبوية فإذا حدث عن على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) لم يذكره خشية من بطش الحجاج.

وفى هذا يقول يونس بن عبيد: سألت الحسن فقلت: يا أبا سعيد إنك تقول قال رسول الله وإنك لم تدركه؟ فقال: يا ابن أخى لقد سألتنى عن شىء ما سألنى عنه أحد قبلك ولولا منزلتك منى ما أخبرتك إى فى زمان كما ترى، وكان فى عمل الحجاج، كل شىء سمعتنى أقول: قال رسول الله ﷺ فهو عن على بن أبى طالب غير أنى فى زمان لا أستطيع أن أذكر عليا[1] ـ كرم الله وجهه.

*****

(١) ابن قيم الجوزى، أعلام الموقعين، جـ١، صـ٢١.

٣ ـ الفقه

إن ثمة مايشبه الإجماع عند الباحثين والمؤرخين قدامى ومحدثين على أن عليا ـ كرم الله وجهه ـ كان من أجلاء فقهاء الصحابة رضى الله عنهم وشيوخ التشريع فى عصره فلقد كان الصحابة لا يمضون أمرا فى المسائل المشكلة إلا بعد مشورته، وكفى دلالة على ذلك قول عمر رضى الله عنه: لولا على لهلك عمر[١].

وكان الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ذا قدم راسخة فى الاجتهاد والفتيا، وكان أحد القضاة فى عهد النبى ﷺ إذ بعثه قاضيا ومعلما إلى اليمن. لقد رأى نفسه ليس أهلا لهذه المهمة العظيمة وأنه بالإضافة إلى ذلك حديث السن. ولكن الرسول ﷺ قد عرف قدر ابن عمه وقدرته العلمية والفكرية؛ لأنه ﷺ هو الذى رباه وعلمه وأرشده وقدم إليه توجيهات علمية وعملية لمدة تكفى لأن تؤهل الإمام كرم الله وجهه أهلا لتحمل المسئوليات العظيمة التى كلفه الرسول ﷺ إلى اليمن. إن الرسول ﷺ قد رأى أهلية الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى القضاء والتعليم رغم حديث سنه كما قال: إنك تبعثنى وأنا حديث السن لا علم لى بالقضاء[٢]. ولولا هذه الأهلية والقدرة الكافية لما بعثه الرسول الله ﷺ إلى اليمن، لقد قال ﷺ: «**إذا روسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[٣] ومن المستحيل أن يوسد الرسول ﷺ أمرا إلى غير أهله، فتوسيد الرسول ﷺ أمر القضاء إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه إلى اليمن يدل على أن الإمام كرم الله وجهه أهل لذلك.

إن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى ولكنه ينطق بوحى يوحى إليه لقوله

(١) الدكتور محمد عبد الرحيم محمد، المدخل إلى فقه الإمام على رضى الله عنه، صـ ٣ (المقدمة).

(٢) الحاكم، المستدرك، جـ٣، صـ ١٣٥.

(٣) السيوطى، الجامع الصغير، جـ١ ، صـ ١٣٦

سبحانه وتعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾ [١]. فكان أمر الرسول ﷺ للإمام على كرم الله وجهه إلى اليمن بتوفيق من الله تعالى وهدايته، لذلك قال ﷺ للإمام كرم الله وجهه: «**انطلق فإن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانه**» بعد أن قال الإمام على كرم الله وجهه للرسول ﷺ: إنك تبعثنى وأنا حديث السن لا علم لى بالقضاء[٢]. ودعا ﷺ للإمام على كرم الله وجهه بالتوفيق بقوله: «**رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار**»[٣].

اجتمعت أمور كثيرة فى الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه تجعله أهلا للاجتهاد فى العلوم الإسلامية والأفكار العلمية العميقة منها الطبيعة الخلقية الهاشمية التى تتميز بالذكاء والفطنة والتربية النبوية ودعاء الرسول ﷺ له بالتوفيق والهداية وحبه الشديد للدراسة والبحوث عن حقائق الأمور وقد كان غواصا طالبا للحقائق ومعروفا بغزارة فى العلم وقوة فى الحجة والاستدلال والاستنباط وعمق فى التفكير فى حل المشكلات التى حدثت فى أيام الخلفاء الراشدين السابقين عليه وفى عهده.

*****

(١)سورة النجم، الآية ٣، ٤.

(٢) الحاكم، المصدر السابق، نفس المكان.

(٣) الترمذى، المصدر السابق، جـ٥، صـ ٢٩٧.

الفصل الثالث

الإمام على بن أبى طالب
كرم الله وجهه
والبحث عن الحقيقة
(والتفكير الفلسفى)

١ ـ مصادر العلم والتفكير:

بناء على الدراسات السابقة فى الفصل الثانى يبدو واضحا أن القرآن الكريم كان مصدرا من مصادر علوم الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومصدر تفكيره فى المقام الأول.

كان القرآن الكريم دائما معه فى لسانه وعقله وقلبه فى حركاته وسكناته فى حضره وسفره لقد صدق الرسول ﷺ حيث قال: **«على مع القرآن والقرآن مع على لن يفترقا حتى يردا على الحوض»**(١).

عكف (كرم الله وجهه) على دراسة القرآن دراسة المتبصر الحكيم الذى ينفر إلى لباب الأشياء فيعى حقائقها ويستوحيها. وقد أتيح له أن ينصرف إلى هذه الدراسة العميقة النافذة خلال الزمن الطويل الذى استخلف فيه أبو بكر فعمر وعثمان، فإذا هو يتقن القرآن نصا ويحياه جوهرا فيستقيم به لسانه كما يستقيم جنانه(٢).

والقرآن الكريم فى نظر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه هو مجامع العلوم كلها، قال: من فهم القرآن فسر به جمل العلم. أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها(٣).

وأن فهمه فى القرآن الكريم واسع وعميق من جوانب متعددة ويكفى دليلا على هذا الفهم قوله كرم الله وجهه: لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير الفاتحة(٤).

وقال الإمام كرم الله وجهه وأشار إلى صدره : إن ههنا علوما جمة لو

(١) الحاكم، المصدر السابق، جـ٣ صـ ١٢٤.
(٢) جورج جرداق، علىّ وحقوق الإنسان، صـ ٩٧.
(٣) الغزالى، إحياء علوم الدين، جـ١، صـ ٢٩١.
(٤) نفس المصدر، صـ ٢٨٥ ، ٢٩٠.

وجدت لها حملة[١].

يأتى بعد القرآن الكريم الحديث النبوى الشريف الذى كان مصدرا ثانيا من مصادر العلوم عند الإمام على بن طالب كرم الله وجهه. وقد تلقى هذا المصدر الثانى مباشرة من الرسول ﷺ وليس بمبالغ إذا قلنا أن مصدر الإمام كرم الله وجهه هو الرسول ﷺ فعلمه بالمصدر الثانى لا يشق له فيه غبار أنه أكثر الصحابة حديثا فى حقيقة الأمر وليس فى واقعه بأسباب كثيرة ذكر بعضا منها الإمام محمد أبو زهرة فى دراساته وذكرنا هذا الموضوع فى الفصل الثانى.

والمصدر الثالث لعلوم الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بعد المصدرين السابقين هو أهليته للاجتهاد جاءت هذه الأهلية للاجتهاد من أسباب كثيرة منها وأهمها تربية الرسول ﷺ للإمام كرم الله وجهه وحبه الخارق عن العادة للعلم نتيجة التربية المذكورة وإجازة الرسول ﷺ له بالقضاء والدعاء له بالتوفيق والهداية فى الأمور كلها.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه كان يحترم آراء الآخرين وقد قبل إجماع الصحابة رضى الله عنهم.

٢ ـ موضوعات تفكير الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه:

إذا نظرنا إلى دراسات الباحثين فى جوانب تفكير الإمام كرم الله وجهه فإننا نجدها فى الأمور الآتية:

١ ـ العقائد.

٢ ـ الأحكام.

٣ ـ الأخلاق.

---

(١) نفس المصدر، صـ ٩٩، وفى رواية للغزالى أيضا قال كرم الله وجهه: أن ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة (صـ ٥٧).

٤ ـ الاجتماعيات.

٥ ـ الكونيات.

٦ ـ الدعوة الإسلامية.

٧ ـ السياسة.

٨ ـ البحث عن الحقيقة فى الأمور التى كان يبحث عنها.

هذه من الموضوعات التى عالجها الإمام كرم الله وجهه بامعان النظر والتأمل حتى ينفذ من كل موضوع إلى لبابه. وبعبارة أخرى عالجها الإمام على كرم الله وجهه بتفكير فلسفى إسلامى - إذا صح التعبير - وهو بذلك مؤسس الحركات الفكرية فى العالم الإسلامى بعد الرسول ﷺ هذا مع اعتراف أدوار الصحابة الآخرين فى تقدم الحركات الفكرية الإسلامية وكلهم تلاميذ الرسول ﷺ، ولكن الإمام على كرم الله وجهه تلميذ خاص للرسول ﷺ بالأسباب التى ذكرناها من قبل: كان الإمام على كرم الله وجهه تلميذا للرسول ﷺ لقد حظى بأمور كثيرة لانجدها فى غيره من الرسول ﷺ. من هنا جاء التفاوت بين الصحابة رضى الله عنهم فى العلم بالقرآن الكريم والحديث والفقه والأهلية للاجتهاد والتفكير العميق والتأمل الدقيق فى موضوع من الموضوعات فى البحث عن الحقيقة.

٣ـ الهدف من التفكير فى البحث عن الحقيقة:

الهدف فى التفكير فى البحث عن الحقيقة عند الإمام على كرم الله وجهه واضح كل الوضوح وهو الوصول إلى الحقيقة المطلوبة لأنها حقيقة وليست لأنها صادرة من جهة معينة تتميز بالشهرة والسمعة الطيبةوالسلطة وغيرها.

هذا الهدف من التفكير وضعه الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى عبارة مشهورة عند الباحثين: لا تعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق

تعرف أهله[١].

وضع الإمام كرم الله وجهه بهذه العبارة أساسا قويا ومبدءا هاما فى التفكير الفلسفى الإسلامى عند المفكرين الإسلاميين وفى مقدمتهم الإمام حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالى الطوسى الذى جعل قول الإمام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه المذكور محورا أساسيا فى تفكيره الفلسفى والبحث عن الحقيقة فى المجالات المختلفة.

أشار الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بالعبارة المذكورة إلى أصالة الفكر الإسلامى الذى استخرجها الإمام على كرم الله وجهه باجتهاده وفهمه من القرآن الكريم والحديث وعمل بها قبل ترجمة الأفكار الأجنبية إلى اللغة العربية.

إن هذا الأساس والمبدأ إسلامى استخرجه المفكر الإسلامى الكبير الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بعد تفكير عميق وتأمل دقيق فى القرآن والحديث وعمل به الإمام كرم الله وجهه فى حياته وهذا واضح فى الأقوال والأفكار والأعمال المنسوبة إليه.

بهذا القول أعلن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه حربا على التقاليد والآراء البالية التى تضر الأفكار الصحيحة وأشهر بجانب ذلك استقلال الفكر الإنسانى من استعمار التقليد ورجاله وأهمية هذا الاستقلال فى البحث عن الحقيقة فى أى مجال من المجالات وفى أى موضوع من الموضوعات.

٤ ـ جذور قول الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه المذكور فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف:

الباحث فى القرآن الكريم يجد فيه أسسا للتفكير السليم ومناهجه ووردت فيه آيات كثيرة تدعو إلى ذلك منها قوله تعالى:

(١) الغزالى، المنقذ من الضلال، صـ ٥٣.

قال تعالى: ﴿الٓمٓ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(١).

وقال: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(٢).

وقال: ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾(٣).

وقال: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾(٤).

وقال: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٥).

تدعو هذه الآيات الكريمة إلى النظر العقلى والبحث فى الظواهر الكونية للوصول إلى معرفة الخالق سبحانه وتعالى القادر على كل شيء بمنهج محدد وخطة واضحة، وتدعو بجانب ذلك إلى تأمل أحوال الأمم السابقة للاستفادة من تجاربهم فى الحياة وعدم الوقوع فى مثل أخطائهم التى وقعوا فيها.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾(٦).

دعت فى القرآن الكريم آيات كثيرة إلى حرية الفكر وحرية العقيدة ونبذ

(١) سورة البقرة ، آية: ١، ٢.
(٢) سورة الإسراء، الآية ٩.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٣.
(٤) سورة الغاشية، الآية: ١٧ ـ ٢٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.
(٦) سورة فاطر، الآية: ٤٤.

التعصب والعنصرية منها قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(١).

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٢).

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾(٣).

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾(٤).

﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٥).

وحارب القرآن الكريم الخرافات والأفكار البالية المتوارثة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(٦).

﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(٧).

ورفض سيدنا إبراهيم عليه السلام دين أبيه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٩.

(٣) سورة الغاشية، الآية: ٢١، ٢٢.

(٤) سورة ق، الآية: ٤٥.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٦) سورة المائدة، الآية ١٠٤.

(٧) سورة الزخرف، الآية: ٢٣ ـ ٢٥.

سيهدين﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴿٥١﴾ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴿٥٢﴾ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴿٥٣﴾ قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴿٥٤﴾ قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ﴿٥٥﴾ قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴿٥٦﴾ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴿٥٧﴾ فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون ﴿٥٨﴾ قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ﴿٥٩﴾ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴿٦٠﴾ قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ﴿٦١﴾ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ﴿٦٢﴾ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴿٦٣﴾ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴿٦٤﴾ ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴿٦٥﴾ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولايضركم ﴿٦٦﴾ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾(٢).

وقدم القرآن الكريم مثالا واضحا فى البحث عن الحقيقة في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام فى قوله تعالى:

﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴿٧٥﴾ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴿٧٦﴾ فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴿٧٧﴾ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر

(١) سورة الزخرف ، الآية: ٢٦، ٢٧.

(٢)سورة الأنبياء، الآية: ٥١ ـ ٦٧.

﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[(١)].

بدأ سيدنا إبراهيم البحث عن الحقيقة الإلهية بالنظر إلى الكوكب بنظرة عقلية واضحة وتأملات دقيقة ووجده فى النهاية أنه متغير غير ثابت ووصل إلى أنه ليس بإله يستحق العبادة. وانتقل بعد ذلك إلى دراسة القمر ووجده مثل الكوكب يتغير والمتغير لابد أن يكون حادثا وانتهى إلى أنه حادث وهو بذلك لا يكون إلها ولكنه مخلوق من المخلوقات. وأخير انتقل إلى دراسة الشمس وانبهر أمام عظمتها بأنوارها فى النهار من الصباح إلى المساء ولكن خاب ظنه، ولقد رآها متغيرة كانت شديدة الضوء وأخيرًا أمست ضعيفة الضوء واختفت أنوارها فى ظلام الليل. ووصل إلى الحقيقة بأنها ليست برب بأدلة حسية وعقلية وأعلن براءته من دين قومه وآمن إيمانا قويا بالله سبحانه لا يقبل فيه أدنى شك.

بهذه الصورة من البحث عن الحقيقة فإن القرآن الكريم قد وضع أساس المنهج الشكى وعرفه العلماء من الصحابة وغيرهم وفى مقدمتهم الإمام على كرم الله وجهه ومن جاء قوله: لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله.

ودعا القرآن الكريم إلى تنحية الذات وطرح الهوى والالتزام بالموضوعية قال تعالى:

---

(١) نفس المصدر، الأنعام، الآية: ٧٥ ـ ٨٢.

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾(١).

﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٢).

وقال تعالى:

﴿ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٣).

﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾(٤).

وحث القرآن الكريم على طلب الحقيقة الواضحة واليقظة العقلية وذكر بأدلة واضحة وجود قوانين كونية ثابتة لا تتغير ودعا إلى الإعتماد على الحجج المنطقية السليمة والمشاهدة الحسية الدالة على صدق قضية ما. ودعا أيضا إلى الشمول والتكامل والصبر والمثابرة من أجل الوصول إلى الحقيقة قال تعالى:

﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(٥).

﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾(٧).

﴿ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾(٨).

﴿ولا تكن من الغافلين﴾(٩).

﴿ أُولَٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(١٠).

---

(١)سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٩.

(٤)نفس السورة ، الآية :٢١.

(٥) سورة الحجر الآية ٩٩.

(٦) سورة البقرة الآية : ٢٤.

(٧) سورة يونس ، الآية: ٣٢.

(٨) نفس السورة، الآية: ٣٦.

(٩)سورة الأعراف ، الآية: ٥٠.

(١٠) سورة الأعراف ،الآية ١٧٩

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾(١).

﴿ وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾(٢).

﴿ولا تجد لسنة الله تبديلا﴾(٣).

﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾(٤).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾(٥).

﴿فاصبروا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾(٦).

هذه من الآيات الكريمة التى نراها حذروا أو أسسا لقول الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه هو: لا تعرف الحق بالرجال. . إلخ.

وفى الحديث النبوى الشريف نجد قوله ﷺ أساسا قويا لقول الإمام المذكور هى: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»(٧).

وفى رواية: «دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق ينجى»(٨).

وفى رواية: «دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٨٢.

(٤) سورة الغاشية، الآية ١٧ ـ ٢٠.

(٥) سورة سبأ، الآية ٤٥.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

(٧) السيوطى، الجامع الصغير، جـ١، صـ ١٥، رواه أحمد عن أنس والنسائى على الحسن ابن على والطبرانى عن واصبة بن معبدو الخطيب عن ابن عمر.

(٨) نفس المكان، رواه ابن قانع عن الحسن

الكذب ريبه»[١]، رواه أحمد والترمذى وابن حبان عن الحسن.

هذا الحديث يصلح لأن يكون دليلا فى البحث عن الحقيقة فى المجالات التى يبذل الباحث فيها فى البحث عنها للوصول إلى المعرفة اليقينية، فإن فى هذا الحديث أساسا قويا وخطوات أولى للشك المنهجى الموجود فى فكر الإمام على كرم الله تعالى وجهه وطوره الإمام الغزالى وجعله محور تفكيره الرئيسى فى مؤلفاته كما سنبينه فى الفصل الرابع بإذن الله تعالى.

*****

(١) السيوطى، المصدر السابق، صـ ١٥.

الفصل الرابع

صورة وكيفية تطبيق تفكير الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه فى تفكير الإمام الغزالى

١ـ رواية الإمام الغزالى رحمه الله تعالى: قول الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه: «لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله».

روى الغزالى قول الإمام كرم الله وجهه المذكور فى مؤلفاته بطريقين:

الطريق الأول: رواه باللفظ والمعنى كما أورده فى الكتب الآتية:

١ـ إحياء علوم الدين قال فيه: . . . قال على رضى الله عنه: لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله[١].

٢ ـ ميزان العمل قال فيه: . . قال على رضى الله عن: لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله[٢].

٣ـ المنقذ من الضلال قال فيه: قال (أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه): لا تعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف أهله[٣].

الثانى: رواه بالمعنى دون اللفظ كما ورد فى الكتابين الآتيين:

١ـ إحياء علوم الدين قال فيه: فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار فى متاحات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله[٤].

٢ ـ معراج السالكين قال فيه: فاعلم يا أخى أنك متى كنت ذاهبا إلى تعرف الحق بالرجال من غير أن تتكل على بصيرتك فقد ضل سعيك[٥].

أشار الطريق الأول إلى أن الغزالى على يقين بأن القول المذكور للإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ذكره ثلاث مرات بنفس اللفظ والمعنى مع تأكيد صحة نسبته إلى الإمام على كرم الله وجهه.

---

(١) الغزالى، إحياء علوم الدين، جـ١، صـ ٥٢.

(٢) الغزالى، ميزان العمل، صـ ١٣١.

(٣) الغزالى، المنقذ من الضلال، صـ ٥٣.

(٤) الغزالى، إحياء علوم الدين، جـ١ صـ ٢٣.

(٥) الغزالى، معراج السالكين فى القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى، الجزء الثالث، صـ ١٧٣، ١٧٤.

وفى الطريق الثانى أشار الغزالى إلى أن فكر الإمام على كرم الله وجهه المذكور أصبح جزءا من أفكاره بأدلة عقلية واضحة لا يقبل الشك فيه لذلك عبر عنه بتعبير آخر ولم ينسبه إلى الإمام على كرم الله وجهه. ويدل بالإضافة إلى ذلك يدل على أن تأثير الإمام على كرم الله وجهه الفكرى فى أفكار الغزالى واضح وعميق.

٢ـ التطبيق والمجال:

بعد الاقتناع من صحة فكر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أخذ الغزالى يطبق هذا الفكر محاولاته الكثيرة فى البحث عن الحقيقة للوصول إلى المعرفة اليقينية. هذه المحاولات ونتائجها نجدها فى مؤلفاته العديدة منها:

١ـ إحياء علوم الدين ذكر فيه قول الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه «لاتعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله» فى الباب الخامس فى آداب المتعلم والمعلم فى الوظيفة السابعة. قدم فيها نصيحة هامة للمتعلم وهى أن لا يحكم على علم بالفساد لسبب من الأسباب التى حدثت نتيجة وقوع الخلاف فيه أو الخطأ أو الصدفة وغيرها بل ينبغى عليه أن يعرف هذا العلم فى نفسه، فقال:

فينبغى (المتعلم وهو طالب العلم) أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلاف بين أصحابه فيه ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل. فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقد مضى كشف هذه الشبهة فى كتاب معيار العلم. وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر والكل خطأ بل ينبغى أن يعرف الشيء فى نفسه فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه: لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله[1]

(١) الغزالى، احياء علوم الدين، جـ١ صـ ٥٢.

٢ ـ ميزان العمل أورد فيه الغزالى قول الإمام على كرم الله وجهه المذكور فى نفس الموضوع فلا حاجة إلى إعادة الكلام فيه. وفى آخر هذا الكتاب نجد امتدادا لفكر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى موضوع بيان معنى المذهب واختلاف الناس فيه» ذكر فيه أن الناس فى المذهب فريقان:

الفريق الأول: يقول: المذهب اسم مشترك لثلاث مراتب.

إحداها: مايتعصب له فى المباهات والمناظرات.

الثانية: ما يسار به فى التعليمات والإرشادات.

الثالثة: ما يعتقده الإنسان فى نفسه مما انكشف له من النظريات.

الفريق الثانى: هم الأكثرون يقولون: المذهب واحد هو المعتقد وهو الذى ينطق به تعليما وإرشادا مع كل آدمى كيفما اختلفت حاله وهو الذى يتعصب له.

قال الغزالى مبينا مراتب المذهب عند الفريق الأول:

فأما المذهب بالاعتبار الأول فهو نمط الآباء والأجداد ومذهب المعلم ومذهب أهل البلد الذى فيه النشوء. وذلك يختلف بالبلاد والأقطار ويختلف بالمعلمين، فمن ولد فى بلد المعتزلة أو الأشعرية أو الشفعوية أو الحنفية انغرس فى نفسه منذ صباه التعصب له والذب دونه والذم لما سواه، فيقال هو أشعرى المذهب أو معتزلى أو شفعوى أو حنفى ومعناه أنه يتعصب أي ينصر عصابة المتظاهرين بالموالات ويجرى ذلك مجرى تناصر القبيلة بعضهم لبعض[١].

المذهب الثانى (أو المذهب بالاعتبار الثانى) ما ينطبق فى الإرشاد والتعليم على من جاءه مستفيدا مسترشدا. وهذا لا يتعين على وجه واحد بل يختلف بحسب المسترشد فيناظر كل مسترشد بما يحتمله فهمه فإن وقع له مسترشد

(١) الغزالى، ميزان العمل، صـ ١٧٢.

تركى أو هندى أو رجل بليد جلف الطبع وعلم أنه لو ذكر له أن الله تعالى ليس ذاته فى مكان وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه لم يلبث أن ينكر وجود الله تعالى ويكذب به فينبغى أن يقرر عنده أن الله تعالى على العرش وأنه يرضيه عبادة خلقه ويفرح بها فيثيبهم ويدخلهم الجنة عوضا وجزاء، وإن احتمل أن يذكر له ماهو الحق المبين يكشف له. فالمذهب بهذا الاعتبار يتغير ويختلف ويكون مع كل واحد على حسب ما يحتمله فهمه.

المذهب الثالث: (أو المذهب بالاعتبار الثالث) ما يعتقده الرجل سرا بينه وبين الله عز وجل لا يطلع عليه غير الله تعالى ولا يذكره إلا مع من هو شريكه فى الاطلاع على ما أطلع أو بلغ رتبة يقبل الاطلاع عليه ويفهمه ـ وذلك بأن يكون المسترشد ذكيا ولم يكن قد رسخ فى نفسه اعتقاد موروث نشأ عليه وعلى التعصب له ولم يكن قد انصبغ به قلبه انصباغا لا يمكن محوه منه ويكون مثاله ككاغد كتب عليه ما غاص فيه ولم يكن إزالته إلا بحرق الكاغد وخرقه.

فهذا رجل فسد مزاجه ويئس من صلاحه فإن كل ما يذكر له على خلاف ماسمعه لا يقنعه بل يحرص على أن لا يقنع بما يذكر له ويحتال فى دفعه ولو أصغى غاية الإصغاء وانصرفت همته إلى الفهم لكان يشك فى فهمه فكيف إذا كان غرضه أن يدفعه ولا يفهمه، فالسبيل مع مثل هذا أن يسكت عنه ويترك على ماهو عليه فليس هو بأول أعمى هلك بضلالته، فهذا طريق فريق من الناس [١].

وأما الفريق الثانى وهم الأكثرون يقولون: المذهب واحد هو المعتقد وهو

(١) الغزالى. المصدر السابق، صـ ١٧٤.

الذى ينطق به تعليما وإرشادا مع كل آدمى كيفما اختلفت حاله وهو يتعصب له وهو إما مذهب الأشعرى أو المعتزلى أو الكراسى أو أى مذهب من المذاهب، والأولون يوافقون هؤلاء على أنهم لو سئلوا عن المذهب أنه واحد أو ثلاثة لم يجز أن يذكر أنه ثلاثة بل يجب أن يقال أنه واحد(١).

وهذا البيان لا ينفع للسائل عن المذهب كما ذكر الغزالى إن كان عاقلا، فإن الناس متفقون على النطق بأن المذهب واحد، ثم يتفقون على التعصب لمذهب أبيهم أو معلمهم أو أهل بلدهم.

قال الغزالى للذى كان يبحث عن الحقيقة أمام المذاهب: ولو ذكر ذاكر مذهبه فما منفعتك فيه ومذهب غيره يخالفه وليس مع واحد منهم معجزة يترجح بها جانبه، فجانب الالتفات إلى المذاهب واطلب الحق بطريق النظر لتكون صاحب مذهب ولا تكن فى صورة أعمى تقلد قائدا يرشدك إلى طريق وحواليك ألف مثل قائدك ينادون عليك بأنه أهلكك وأضلك عن سواء السبيل، وستعلم فى عاقبة أمرك ظلم قائدك، فلا خلاص إلا فى الاستقلال.

خذ ماتراه ودع شيئا سمعت به فى طالع الشمس ما يغنيك عن زحل .

ولو لم يكن فى مجارى هذه الكلمات إلا ما يشكك فى اعتقادك الموروث لتنتدب للطلب، فناهيك به نفعا إذ الشكوك هى الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال(٢).

٣ـ معراج السالكين تحدث فيه عن الباحث عن الحقيقة فى العلوم الإلهية وفروع الأحكام وقال له:

فاعلم يا أخى أنك متى كنت ذاهبا إلى تعرف الحق بالرجال من غير أن

(١) نفس المكان.

(٢) الغزالى، المصدر السابق، صـ ١٧٥ .

تتكل على بصيرتك فقد ضل سعيك فإن العلم من الرجال إنما هو كالشمس أو كالسراج يعطى الضوء. ثم انظر ببصرك فإن كنت أعمى فما يغنى عنك السراج والشمس فمن عول على التقليد هلك هلاكا مطلقا[١].

٤ـ المنقذ من الضلال دون فيه الغزالى تجاربه الشخصية المشهورة فى بحثه عن الحقيقة للوصول إلى المعرفة اليقينية، قال:

فقد سألتنى أيها الأخ فى الدين أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها وغائلة المذاهب وأغوارها، وأحكى لك ما قاسيته فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطريق، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاستفسار، وما استفدته أولا من علم الكلام وما اجتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف وما ارتضيته آخرا من طريق التصوف وما انجلى لى فى تضاعيف تفتيشى عن أقاويل الخلق من لباب الحق..[٢].

ثم قال: إن اختلاف الخلق فى الأديان والملل ثم اختلاف الأئمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق غرق فيه الكثيرون وما نجا منه إلا الأقلون وكل فريق يزعم أنه الناجى **﴿وكل حزب بما لديهم فرحون﴾**، هو الذى وعدنا به سيد المرسلين صلوات الله عليه وهو الصادق حيث قال: «**ستفترق أمتى ثلاثا وسبعين فرقة الناجية واحدة**»[٣]، فقد كان ما وعد أن يكون.

ولم أزل فى عنفوان شبابى منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن وقد أناف السن على الخمسين أقتحم لجة هذا البحر العميق وأخوض

---

(١) الغزالى، معراج السالكين فى القصور العوالى، جـ٣، صـ ١٧٣، ١٧٤.

(٢) الغزالى، المنقذ من الضلال، صـ ٢٣.

(٣) روى السيوطى هذا الحديث بصيغة: «**افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة..**» إلخ قال: رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه، الجامع الصغير، جـ ١، صـ٤٨.

غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور وأتوغل فى كل مظلمة وأتهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة، لأميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع، لا أغادر باطنيا إلا وأحب أن أطلع على بطانته ولا ظاهريا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ولا فلسفيا إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ولا متكلما إلا وأجتهد فى الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صفوته ولا متعبدا إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ولا زنديقا معطلا إلا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته فى تعطيله وزندقته.

وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبى وديدنى من أول أمرى وريعان عمرى غريزة وفطرة من الله وضعتا فى جبلتى لا باختيارى وحيلتى، حتى انحلت عنى رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد شرة الصبا(١).

هذا الحب الشديد فى البحث عن الحقيقة من الغزالى هو من الدوافع التى جعلته يقتنع بفكر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه والسير عليه فى خطواته الفكرية منذ عنفوان شبابه كما قال. وهذا يدل على أن الغزالى قد اطلع على أفكار الإمام على كرم الله وجهه فى وقت مبكر من دراساته. وجعل قول الإمام على كرم الله وجهه مقياسا للعاقل فقال:

والعاقل يقتدى بقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه حيث قال: لاتعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف أهله. والعاقل يعرف الحق ثم ينظر فى نفس القول، فإن كان حقا قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقا، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من أقاويل أهل الضلال عالما بأن معدن الذهب الرغام ولا بأس على الصراف إن أدخل يده فى كيس القلاب

---

(١) الغزالى، المصدر السابق، صـ ٢٤، ٢٥.

وانتزع الأبريز الخالص من الزيف والبهرج مهما كان واثقا ببصيرته[١].

فبناء على التفكير المذكور بدأ الغزالى رحلاته الطويلة فى البحث عن الحقيقة عند أصناف الطالبين وهم:

١ـ المتكلمون وهم يدعون أنهم أهل الرأى والنظر.

٢ـ الباطنية وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم والمخصوص بالاقتباس من الإمام المعصوم.

٣ ـ الفلاسفة وهم الذين يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان.

٤ـ الصوفية وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة قال الغزالى فى هذه الأصناف الأربعة:

الحق لا يعدو عن هذه الأصناف الأربعة فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق، فإن شذ الحق عنهم فلا يبقى فى درك الحق مطمع، إذ لا مطمع فى الرجوع إلى التقليد بعد مفارقته........

فابتدرت لسلوك هذه الطرق باستقصاء ماعند هذه الفرق مبتدءا بعلم الكلام ومثنيا بطريق الفلسفة ومثلثا بتعليمات الباطنية ومربعا بطريق الصوفية[٢].

بعد دراسات كتب المحققين من علماء الكلام وصنف فيه ما أراد أن يصنف قال فيه:

فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودى، وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة[٣].

(١) الغزالى، المصدر السابق، صـ ٥٣، ٥٤.
(٢) نفس المصدر، صـ ٣٥.
(٣) نفس المكان.

وكذلك فعل فى الفلسفة وقال فيها:

ثم إنى لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهيمه وتزييف ما يزيف منه علمت أن ذلك أيضا غير واف بكمال الغرض وأن العقل ليس مستقلا بالإحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات(١).

وقال الغزالى بعد أن صنف كتابا لكشف حقيقة مذهب الباطنية:

والحاصل أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم. .(٢).

بعد انتهاء الغزالى من الأصناف الثلاثة المذكورة أقبل على طريق الصوفية بقوله: ثم إنى لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتى على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل. وكان حاصل علمهم قطع عقبات والتنزه عن أخلاقهم المذمومة وصفاتهم الخبيثة حتى يتوصل بهم إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله.

وكان العلم أيسر على من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبى طالب المكى رحمه الله وكتب الحارث المحاسبى والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبى يزيد البسطامى قدس الله أرواحهم وغير ذلك من كلام مشايخهم، حتى اطلعت كنه مقاصدهم العلمية وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع، فظهر لى أن أخص خواصهم مالا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات وكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما وبين أن يكون صحيحا وشبعان. . . فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فعلمت يقينا أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم بل

(١) نفس المصدر، صـ ٥٧.

(٢) نفس المصدر، صـ ٥٩.

بالذوق والسلوك..[١].

وبعد تفكير عميق وتأمل دقيق قرر الغزالى على السفر وترك كل شىء وراءه وبدأ رحلاته الطويلة فى مرحلتين استغرقت المرحلة الأولى سنتين تقريبا ليس له شغل إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كان حصله من علم الصوفية وكان يعتكف مدة فى مسجد دمشق يصعد منارة المسجد طول النهار، وأغلق بابها على نفسه ثم رحل منها إلى بيت المقدس ومنه إلى الحجاز وبعد الحج عاد إلى وطنه.

ثم عاد الغزالى مرة ثانية إلى العزلة واستغرقت هذه المرحلة الثانية مقدار عشر سنين وتحدث عنها فقال: قدمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لى فى أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها والقدر الذى أذكره لينتفع به أنى علمت يقينا أن الصوفية هم السابقون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به[٢].

هذه النتيجة التى انتهى إليها الغزالى فى طريق الصوفية بالذوق والسلوك بعد التجارب الذاتية الطويلة جاءت نتيجة الرغبة الشديدة لمعرفة حقيقة مذهب الصوفية بطريق العلم والعمل مباشرة وعرف قبل ذلك حقيقة مذهب المتكلمين

(١) الغزالى، المصدر السابق، صـ ٦٩، ٧٠.

(٢) الغزالى، المصدر السابق صـ ٧٥.

والباطنية والفلاسفة، عرفها كلها ليس برجالها ولكن بحقائقها التى وصل إليها بنفسه، بذلك عرف الغزالى الحقائق وعرف أهلها.

إنه سنة الخليفة الرابع الإمام على كرم الله تعالى وجهه، قام الغزالى بتطبيقها خير تطبيق فى حياته العلمية والعملية عملا بقول الرسول ﷺ : **«عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا وسترون من بعدى أختلافا شديدا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»**(١).

النتيجة التى وصل إليها الغزالى فى طريق الصوفية ليست ذوقية محضة ولكنها ذوقية وعقلية بمعنى أنها مؤيدة بأدلة عقلية سليمة، كان الغزالى مفكرا قبل أن يكون صوفيا ورأى أنه لابد من المريد إذا أراد أن ينال رتبته العظيمة عليه تحصيل العلوم الحقيقية فى النفس بطريق البحث والنظر على غاية الإمكان.

قال الغزالى: فكم من صوفى بقى فى خيال واحد عشر سنين إلى أن تخلص عنه، ولو كان قد أتقن العلوم أولا لتخلص منه على البديهة.

فالاشتغال بتحصيل العلوم بمعرفة معيار العلم وتحصيل براهين العلوم المفصلة أولى فإنه يسوق إلى المقصود سياقة موثوقا بها كما يوثق بالاجتهاد فى أن يحصل فقه النفس، وقد كان عليه السلام فقيه النفس من غير اجتهاد، لكن لو أراد مريد أن ينال رتبته بمجرد الرياضة فقد توقع توقعا بعيدا، فيجب تحصيل نفس العلوم الحقيقية فى النفس بطريق البحث والنظر على غاية الإمكان وذلك بتحصيل ماحصله الأولون أولا، ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف للعلماء الباحثين عن الأمور الإلهية(٢).

بذلك، فإن الغزالى جمع بين العلوم العقلية والمعارف الذوقية ووصل

---

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، جـ١٢، صـ ١٦.

(٢) الغزالى، ميزان العمل. صـ ٤٧.

بهما إلى الحقائق المطلوبة ووضع للمريدين المنهج السليم فى العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفوس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلوب لذكر الله تعالى.

بناء على النصوص المذكورة من مؤلفات الغزالى نجده طبق فكر الإمام على كرم الله وجهه فى البحث عن الحقيقة فى العقائد والأحكام والفرق والمذاهب.

٣ـ العناصر والخطوات:

إذا نظرنا إلى قول الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه السابق وهو «ولا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله » فإنه للفهم سهل ولكن تطبيقه يحتاج إلى عناصر أساسية فى الباحث وخطوات ايجابية .

العناصر الأساسية المطلوب وجودها عند الباحث لتنفيذ قول الإمام على كرم الله وجهه هى:

١ـ الأهلية للبحث والاجتهاد.

٢ ـ حب البحث عن الحقيقة.

٣ ـ عدم التعصب برأى معين.

٤ ـ التحرر من العادات والتقاليد والآراء البالية.

٥ ـ المبادرة إلى البحث والاستمرار فيه حتى النهاية.

الأهلية المطلوبة لأى باحث هى الأهلية العلمية والمنطقية والتحليلية والاستدلالية والاستنباطية والنقدية وحب البحث هو الرغبة الشديدة مع التعطش إلى درك حقائق الأمور النابعة عن الغريزة والفطرة السليمة مصحوبة بالراحة النفسية والمتعة العقلية فى البحث والدراسة ليصل الباحث إلى المعرفة اليقينية. وعدم التعصب برأى معين يجعل الباحث مفتوح الصدر أمام أفكار

الآخرين ومستعد لمناقشتها مناقشة موضوعية وقد تنتهى هذه المناقشة إلى القبول أو إلى الرفض. والتحرر من العادات والتقاليد والآراء البالية يجعل الباحث أكثر نشاطا فى التفكير فى البحث والدراسة ومتقدما فى اتخاذ قرار معين غير متردد إذا رأى الحق أمامه واضحا. والمبادرة إلى البحث هى الإقبال عليه بدون تردد وعدم الالتفات إلى الموانع التى قد تحول بينه وبين البحث عن الحقيقة ويستمر في هذا البحث بدون توقف حتى يصل إلى نتيجة مرضية تنفعه وتنفع الآخرين فى تقدم العلم والمعرفة تقدما صحيحا.

بعد ذلك على الباحث أن يضع منهجا واضحا قبل أن يبدأ فى البحث والمراد بالمنهج هنا هو الخطوات السليمة المنظمة فى البحث.

الخطوات المطلوبة فى البحث هى:

١ ـ الشك المنهجى.

٢ ـ فكرة اليقين.

٣ ـ دراسة الموضوع دراسة وافية

٤ ـ النقد.

٥ ـ النتيجة.

كتبت بالتفصيل فى الشك المنهجى فى الدكتوراه ولا حاجة إلى إعادة الكلام فى هذه الدراسة ويكفى أن نقول أنه الشك الذى يجعل الباحث يفكر فى صحة موضوع أو عدم صحته وبين الغزالى هذا الشك فقال: فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال[1]. وإذا شك الباحث فى موضوع من الموضوعات، فإنه يتحرك للتفكير فيه لمعرفة حقيقته معرفة يقينية. ولكن هذا لا يكفى وعليه أن يضع

(١) الغزالى، المصدر السابق، صـ ١٧٥.

فكرة اليقين التي يسعى إليها فى بحثه وبدونها لا تكون محاولاته ناجحة. وهذا مافعله الغزالى وسمى هذه الفكرة بالعلم اليقينى، قال فيه: فظهر لى أن العلم اليقينى هو الذى يكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك، بل الأمان من الخطأ ينبغى أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا، لم يورث ذلك شكا وإنكار فإنى إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة، فلو قال لى قائل: بل الثلاثة أكثر بدليل أنى أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه. لم أشك بسببه فى معرفتى ولم يحصل لى منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه. فأما الشك فيما علمته فلا ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقينى (١).

على هذه الفكرة من العلم اليقينى واجه الغزالى المشكلات الفكرية والعقائدية من الفرق والمذاهب والملل فى أيامه بالدراسات والبحوث الجادة لدرك حقائقها ومعرفتها معرفة يقينية والرد عليها.

ذكر الغزالى رحمه الله تعالى أنه كان يشك فى وسائل المعرفة الإنسانية وبعد تفكير وتأمل فيها وفى الضروريات العقلية خاصة رجعت هذه الوسائل مقبولة موثوقة بها على أمن ويقين.

موضوع وسائل المعرفة الإنسانية من الموضوعات التى اهتم الباحثون بها اهتماما بالغا فى الدراسات الفلسفية وكتبوا فيها نظريات منها حسية وعقلية وذوقية. وتحدث الفلاسفة المسلمون فيها بالتفصيل منهم الغزالى وذكرنا آراءه بالتفصيل فى رسالتى للدكتوراه.

---

(١) الغزالى، المصدر السابق، صـ ٢٦، ٢٧.

بعد انتهاء الغزالى من وضع فكرة اليقين المذكورة وامتحان وسائل المعرفة وأحكامها ورجوع الثقة إليها بدأ بدراسة الفرق والمذاهب من مؤلفات رجالها. وكان الغزالى على يقين من دراساته أنه وصل إلى معرفة حقائق تلك الفرق والمذاهب والملل واطلع على أشياء لم يطلع عليها أصحابها ورجالها من قبل. وعلى هذه الصفة والمستوى من العلم واليقين فى نتيجة دراساته رأى أن مرحلة النقد قد بدأت. وهذا منهج الغزالى فى النقد، قال فيه:

وعلمت يقينا أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوى أعلمهم فى أصل العلم. ثم يزيد عليه ويجاوز درجته، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غوره وغائله فإذ ذاك يمكن أن يكون مايدعيه من فساده حقا..[٢].

كانت دراسات الغزالى فى الفرق والمذاهب والملل الموجودة فى عصره وكتاباته فيها جادة واستغرقت مدة طويلة ويكفى لنا دليلا على صحة ذلك وجود مؤلفاته المشهورة منها:

١ ـ الاقتصاد فى الأعتقاد (علم الكلام).

٢ ـ الجام العوام عن علم الكلام.

٣ـ مقاصد الفلاسفة.

٤ـ تهافت الفلاسفة.

٥ ـ فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية.

٦ ـ إحياء علوم الدين.

٧ ـ ميزان العمل.

٨ ـ المنقذ من الضلال.

---

(١) الغزالى. المصدر السابق، صـ ٣٨.

وغير ذلك من المؤلفات التى ذكرها الباحثون بالتفصيل وخاصة الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه «مؤلفات الغزالى».

نقد الغزالى الأفكار والعقائد المخالفة للإسلام بالطريقة المذكورة ووصل إلى النتيجة المرضية كما ذكرنا.

هذه الخطوات الغزالية فى الدراسات والبحوث لمعرفة حقائق الأمور فى نفسها عرضناها بالاختصار فى هذه الدراسة وتفصيلها فى كتابى «المنهج الفلسفى عند الغزالى وديكارت للوصول إلى الحقيقة» طبع فى دار الحديث فى القاهرة سنة ١٩٩٦ لأول مرة.

*****

الفصل الخامس

الأفكار المعاصرة ومواجهتها بفكر الإمام على بن أبى طالب (كرم الله تعالى وجهه)

١ ـ مفهوم الأفكار المعاصرة:

الدراسات والبحوث حول الأفكار المعاصرة ومذاهبها ومجالاتها كثيرة جدا ودونت فى الجرائد والمجلات والموسوعات والمؤلفات وقد أقيمت فيها الندوات والمؤتمرات فى العالم الإسلامى وخارجه لغرض معرفة حقائقها وأسرارها وخطورتها وايجابياتها وسلبياتها.

الأفكار المعاصرة من جميع جوانبها نقسمها إلى قسمين فقط تسهيلا للدارسين ليكونوا تصدراً اجماليا فى أفكارهم، هما:

أولهما: الأفكار المعاصرة الإسلامية.

والثانى: الأفكار المعاصرة غير الإسلامية.

الأفكار المعاصرة الإسلامية منها قديمة وأسماؤها مشهورة وخاصة فى الدراسات الكلامية ومنها الحديثة بأسماء كثيرة بعضها مشهورة وبعضها غير معروفة.

الأفكار المعاصرة الإسلامية القديمة هى: أفكار الخوارج والمرجئة والمعتزلة والزيدية والشيعة الاثنى عشرية والإسماعيلية والنصيرية والأشعرية والفلسفية من الكندى والفارابى وابن سينا وغيرهم والفقهية المذهبية وغيرها من الأفكار القديمة التى ذكرتها كتب الكلام .

ومن الأفكار المعاصرة الإسلامية الحديثة الوهابية والسنوسية والمهدية والسلفية العقلانية المستنيرة (اصطلاح الدكتور محمد عمارة فى كتابه تيارات الفكر الإسلامى) وأفكار اخوان المسلمين والجماعات الإسلامية التى انتصرت فى العالم الإسلامى بجانب الأفكار التى ادعت أنها إسلامية ولكنها بعيدة عن الإسلام منها البهائية والقاديانية وأمثالها.

هذه الأفكار الإسلامية من الفرق والمذاهب والجماعات إذا أردنا أن

ندرسها دراسة تفصيلية تحتاج إلى مدة طويلة ومصادر ومراجع كثيرة وقد لا ننتهى منها من كثرة المواد العلمية والآراء المتضاربة عنها.

والأفكار المعاصرة غير الإسلامية منها قديمة ومنها حديثة، منها دينية وغير دينية وهى أكثر عددا من الأفكار المعاصرة الإسلامية ونذكرها على سبيل المثال لا الحصر ولا سبيل إلى ذلك، منها: الأفكار اليهودية التى ظهرت بأسماء مختلفة منها الصهيونية والماسونية والشيوعية والعلمانية والرأسمالية وغيرها، والأفكار المسيحية التى تمثلت فى جمعيات مختلفة فى العالم وتعاونت مع الأفكار اليهودية والأفكار الفلسفية الحسية منها والعقلية القديمة منها والحديثة والمعاصرة. وكذلك دخلت فيها الأفكار الباطنية منها قديمة وحديثة ومعاصرة والمعتقدات الموجودة فى الأديان الأرضية ما أكثرها.

هذا بيان موجز عن الأفكار المعاصرة الإسلامية منها وغير الإسلامية وقد قامت الندوة العالمية للشباب الإسلامى بدراسة بعض من هذه الأفكار وجمع المسئولون فى هذا الندوة نتائج الدراسات والبحوث فى هذه الأفكار من الأديان والمذاهب فى موسوعة سموها بالموسوعة الميسرة وهى موسوعة قيمة يحتاج إليها الباحثون والدارسون لمعرفة حقائق الأفكار المذكورة ونشرها بين المسلمين ليعرفوا الصحيح منها والباطل.

٢ ـ تأثيرات الأفكار المعاصرة السلبية:

كان الإمام الغزالى رحمه الله تعالى الذى عاش فى القرن الخامس والسادس من الهجرة يقول: أن اختلاف الخلق فى الأديان والملل، ثم اختلاف الأئمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق غرق فيه الأكثرون، وما نجا منه إلا الأقلون وكل فريق يزعم أنه الناجى، و﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾الروم: ٣٢ [١].

(١) الغزالى، المنقذ من الضلال، صـ ٢٤.

لقد مضت تسعة قرون من حياة الغزالى وماذا يقول إذا رأى صورة اختلاف الخلق فى الأفكار والمعتقدات فى هذا العصر؟

كان يواجه الاختلافات المذكورة بفكر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى قوله المشهور « لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله» وقد تقدم ذكره مرات عديدة، ورِدده الغزالى مرات أيضا فى مناسبة البحث عن الحقيقة بطريق النظر بعيدا عن التقاليد والخرافات والآراء البالية والتعصب. وأشار الغزالى بقوله «غرق فيه الأكثرون» إلى تأثير الاختلاف السلبى فى عصره على أفكار الأمة واعتقاداتهم.

وإذا رأينا اليوم تأثيرات الأختلافات الفكرية المعاصرة فإنها كثيرة جدا. لقد جعلت هذه الاختلافات الفكرية الإسلامية المعاصرة العقول المسلمة فى حيرة شديدة وقد عجزت عن تمييز الصحيح منها والباطل لكثرتها وادعاء كل واحدة منها على الحق وأن غيرها على الباطل بالإضافة إلى مظاهرها المختلفة وحركاتها التى قد تخالف الإسلام.

من هذا التأثير نجد تأثيراً آخر لا يقل خطورة عن الأول وهو تفرق الأمة وقد أدى هذا الأمر إلى الضعف فى صفوف المسلمين وتخلف كبير فى حياتهم الاقتصادية والصناعية والسياسية وغيرها. وهذا أمر يحتاج إلى اهتمام كبير بالدراسات والبحوث ونشر نتائجها بين المسلمين حتى يكونوا على بينة من فساد هذا الأمر وإفساده عقول الأمة وقلوبهم والشباب منهم بصفة خاصة.

وبالنسبة إلى العلماء والمفكرين فإن هذه الأفكار إجمالا وتفصيلا قد أصبحت من الموضوعات التى احتلت مساحة واسعة فى تفكيرهم لدراستها ثم تبيينها للأمة حتى لا يتضرروا فى أفكارهم وعقائدهم وهذا أمر لا يخلو عن الجانب السلبى وهو صرف عناية العلماء والمفكرين إلى دراسة هذه الأفكار وغير الإسلامية خاصة والكتابة فيها وإقامة الندوات، مع أن هناك أمورا كثيرة

فى حاجة شديدة إلى حل سريع توقف التفكير فيها بسبب هذه الأفكار المعاصرة المتضاربة بعضها ببعض بالإضافة إلى ذلك، فإن أعداء الإسلام والمسلمين تعمدوا فى لفت أنظار العلماء والمفكرين إلى أمور تشغلهم عن أهم القضايا الإسلامية المعاصرة منها تطوير مستوى الدراسات فى جميع المجالات والحياة اليومية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك لقد تبنوا الحركات الإسلامية فى ظاهرها لأجل تعطيل الحركات الإسلامية الصحيحة وأنفقوا فى سبيل ذلك مبالغ كبيرة وعملوا فيه ندوات ومؤتمرات عالمية. وإذا أردنا أن نفتح مجالا للكلام فى هذا الموضوع بالتفصيل فإن الوقت لا يتسع بذلك ونكتفى بالإشارة إليه ولاشك أن هناك من يهتم به بصفة خاصة دفاعا عن الإسلام.

هذه من التأثيرات السلبية من الأفكار المعاصرة التى نراها واضحة فى الحركات الفكرية المعاصرة فى العالم الإسلامى بصفة خاصة.

٣ـ فكر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه والأفكار المعاصرة.

إذا أردنا أن نصل إلى معرفة حقائق الأفكار المعاصرة الإسلامية منها وغير الإسلامية، فإننا نستطيع أن نصل إليها بفكر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعلى الكيفية التى سار عليها الإمام الغزالى رحمه الله فى دراساته الجادة لدرك حقائق الأمور فى أفكار الفرق الإسلامية وعقائدها.

نجح الغزالى فى دراساته بعد مدة طويلة من المحاولات الجادة وقد وصل إلى الحقائق المطلوبة بالعلم اليقينى وانحلت عنه رابطة التقليد وانكسرت العقائد الموروثة وتحرر من التعصب والأفكار البالية. وذلك بعد اقتناعه بفكر الإمام على بن طالب كرم الله وجهه والسير عليه فى بحثه عن الحقيقة.

بهذه النتيجة يمكننا أن نقول أن فكر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه قد أنقذ الغزالى من الوقوع فى الضلال فى بحثه عن الحقيقة. وهو بذلك «المنقذ من الضلال» أى الضلال الفكرى الذى أصاب الكثيرين من الذين يذهبون إلى معرفة الحق بالرجال.

والإمام الغزالى رحمه الله تعالى بين كيفية السير فى البحث عن الحقيقة بناء على فكر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بالخطوات التى تقدم ذكرها. وهو بذلك قد وضع منهجا كاملا للباحثين عن الحقيقة وفى الدراسات الفلسفية بصفة خاصة ويستحق بذلك أن يلقب بالمنقذ الثانى من الضلال المذكور والمنقذ الأول هو الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

اطلع المفكرون فى القرون الوسطى على المنهج الشكى المذكور عن كتاب الغزالى المنقذ من الضلال «المترجم إلى اللغة اللاتينية وفى مقدمتهم الفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت الذى تأثر بمنهج الغزالى الشكى باعتراف منه بقوله: يضاف ذلك إلى منهجنا[١].

بهذا يمكن القول بأن فكر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه قد أثر فى أفكار الغربيين بواسطة أفكار الإمام الغزالى رحمه الله تعالى.

*****

(١) الدكتور السيد محمد عقيل بن على المهدلى، المنهج الفلسفى عند الغزالى وديكارت للوصول إلى الحقيقة، صـ ٣٢٩.

الفصل السادس

أقوال الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه، الواردة فى مؤلفات الإمام الغزالى، وفى إحياء علوم الدين خاصة

أورد الإمام الغزالى رحمه الله تعالى أقوال الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى مؤلفاته وفى إحياء علوم الدين خاصة من خلال هذه الأقوال درس الغزالى أفكار الإمام على كرم الله وجهه وتأثر بها بتطبيقها فى أعماله العلمية والعملية على السواء.

من أقوال الإمام على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه التى رواها الغزالى فى مؤلفاته:

١ـ قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكميل: ياكميل، العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق.

٢ ـ العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه.

٣ ـ ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلا.

وقدر كل امرء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء.

ففز بعلم تعش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء.

٤ ـ إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته فى الجواب ولا تلح عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولاتفشى له سرا ولا تغتابن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته وإن زل قبلت معذرته وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى ولا تجلس أمامه وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته.

٥ ـ لا تعرف الحق بالرجال إعرف الحق تعرف أهله.

٦ ـ قال فى حديث طويل: القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة: عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجوؤا إلى ركن وثيق، العلم

خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكو على الإنفاق والمال ينقصه الإنفاق، والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته، العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر، ثم تنفس الصداء وقال: هاه إن ههنا علما جما لو وجدت له حملة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه، أو منقادا لأهل الحق لكن ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك، أو منهوما باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات ، أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقادا لهواه أقرب شبها بهم الأنعام السائمة، اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه، ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته، وكم وأين أولئك هم الأقلون عددا الأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من ورائهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بأبدانهم أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمناؤه وعماله فى أرضه والدعاة إلى دينه . ثم بكى وقال: واشوقاه إلى رؤيتهم.

٨ ـ قال فى خطبة له: ذمتى رهينة وأنا به زعيم أنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل، وأن أجهل الناس من لا يعرف قدره وأن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قمش علما أغار به فى أغباش الفتنة سماه أشباه له من الناس وأرذالهم عالما ولم يعش فى العلم يوما سالما بكر واستكبر فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل، جلس للناس لتخليص ما التبس على غيره فإن

نزلت إحدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأى، فهو من قطع الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لا يدرى أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم، تبكى منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملىء والله بإصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما فوض عليه، أولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا.

٨ـ إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب.

٩ ـ خيرنا أتبعنا لهذا الدين.

١٠ ـ رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع .

١١ ـ إن ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة.

١٢ ـ إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم، وتلا قوله تعالى: **﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾** الآية.

١٣ ـ إذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ ـ **﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾** ـ الآية.

١٤ ـ تكره الصلاة فى أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والإمام يخطب.

١٥ ـ لأن أصل أخا من إخوانى بدرهم أحب إلىّ من أن أتصدق بعشرين درهما ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلىّ من أن أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلىّ من أن أعتق رقبة.

١٦ ـ ثلاث يزدن فى الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصيام وقراءة القرآن.

١٧ ـ من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه فى غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب.

١٨ ـ إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن.

استدل الغزالى بهذا القول على جواز تفسير القرآن بالرأى أى بالفهم قال: فأعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب فى الأخبار عن نفسه ولكنه مخطئ فى الحكم يرد الخلق كافة إلى درجته ومحطه بل الأخبار والآثار تدل على أن فى معانى القرآن متسعا لأرباب الفهم. قال على رضى الله عنه: إلا أن يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم؟[١].

١٩ ـ من فهم القرآن فسر به جمل العلم. قال الغزالى: أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها[٢].

٢٠ ـ العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل وماهى؟ قال: الاستغفار وكان يقول: ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه.

٢١ ـ الوتر على ثلاثة أنحاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين ـ يعنى أنه يصير وترا بما مضى ـ وإن شئت أوترت بركعة فإذا استيقظت شفعت إليها الأخرى ثم أوترت من آخر الليل. وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك[٣].

(١) الغزالى، إحياء علوم الدين، جـ١، صـ ٢٩٠.

(٢) نفس المصدر، صـ ٢٩١.

(٣) نفس المصدر، صـ ٣٤٧.

٢٢ ـ (روى أن رجلا دعا عليا رضى الله عنه) فقال على: أجيبك على ثلاث شرائط: لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر مافى البيت ولا تجحف بعيالك.

٢٣ ـ روحوا القلوب ساعة فإنها إذا أكرهت عميت.

٢٤ ـ

فلا تصحب أخا الجهل وإيـــــاك وإياه فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه
يقاس المـــــرء بالمرء إذا ما المرء ما شاه وللشىء مـن الشىء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حيـــن يلقاه

٢٥ ـ

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب زمان صدعك شتت فيه شمله ليجمعك

٢٦ ـ ما عندنا شىء أسره النبى ﷺ إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فهما فى كتابه وليس هذا بالتعلم.

٢٧ ـ حسن الخلق فى ثلاث خصال: اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال.

٢٨ ـ إن الإيمان ليبدو فى القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل العبد الإيمان ابيض القلب كله، وأن النفاق ليبدو فى القلب نكتة سوداء كلما أزداد النفاق ازداد ذلك السواد، فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله.

٢٩ من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا.

٣٠ ـ أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة.

٣١ ـ إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى وأنشد:

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة فليس ينقصها التبذير والصرف

وإن تولت فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

٣٢ ـ وقيل: بكى كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك؟ فقال: لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهاننى، وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب، فقال: ما جاء بك؟ قال علىّ أربعمائة درهم دين، فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكى، فقالت امرأته: لم أعطيته إذ شق عليك فقال: إنما أبكى لأنى لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتى.

٣٣ ـ إنه سيأتى على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما فى يده ولم يؤمر بذلك.

٣٤ ـ لو أن رجلا أخذ جميع مافى الأرض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد.

٣٥ ـ ما أحسن التواضع بالأغنياء فى مجالس الفقراء رغبة منهم فى ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل (الإحياء، جـ٣، صـ ٣٣٣).

٣٦ ـ لا ينقص الرجال الكامل من كماله ما حمل من شىء إلى عياله (الإحياء حـ٣، صـ٣٤٥).

٣٧ ـ (عوتب على كرم الله وجهه فى إزار مرقوع) فقال: ليقتدى به المؤمن ويخشع له القلب (الإحياء جـ٣ ، صـ ٣٤٥).

٣٨ ـ (سئل عن الكفر على ماذا بنى؟) فقال: بنى على أربعة دعائم: على الجفاء والعمى والغفلة والشك، فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء، ومن عمى نسى الذكر ومن غفل حاد عن الرشد ومن شك

غرته الأمانى فأخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب (الإحياء، جـ ٤، صـ ٥٩).

٣٩ ـ قال على كرم الله وجهه: اللهم إنى أسألك الصبر، فقال ﷺ: «**لقد سألت الله البلاء فأسأله العافية**» (رواه الترمذى من حديث معاذ.. العراقى) (صـ ١٣١).

٤٠ ـ (قال على رضى الله عنه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه): ياهذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك (صـ ١٤١).

٤١ ـ من أذنب ذنبا فستره الله عليه فى الدنيا فالله أكرم من أن يكشف ستره فى الآخرة ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه فى الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده فى الآخرة (صـ ١٤٩).

٤٢ ـ (قال على كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده): لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فلم أر اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا صفرا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم. فإذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله فكأنى بالقوم باتوا غافلين. ثم قام فما رؤى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم (صـ ١٨٠).

٤٣ ـ يا صفراء غرى غيرى ويا بيضاء غرى غيرى (صـ ١٩٨).

٤٤ ـ إن لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع ربه ولا يشكر حاله ويشكو الله تعالى على فقره. ومن علاماته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويعصى ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية ويستخط القضاء (صـ ٢٠١).

٤٥ ـ ما أحسن تواضع الغنى للفقير رغبة فى ثواب الله تعالى وأحسن

منه تيه الفقير على الغنى ثقة بالله عز وجل (صـ ٢٠١).

٤٦ ـ (اشترى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو فى الخلافة وقطع كميه من الرسغين) وقال: الحمد لله الذى كسانى من رياشه (صـ ٢٢٨).

٤٧ ـ إن الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا فى مثل أدنى أحوال الناس ليقتدى بهم الغنى ولا يزرى بالفقير فقره ولما عوتب فى خشونة لباسه قال: هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقتدى به المسلم ونهى رسول الله ﷺ عن التنعم (صـ ٢٢٩).

٤٨ ـ قال على لعمر رضى الله عنهما: إن أردت أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الإزار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال: من تزيا بزى قوم فهو منهم (صـ ٢٢٩).

٤٩ ـ (قال على كرم الله وجهه لما أرى زينة النبط بالعراق فى يوم عيد: ماهذا الذى أظهروه؟ قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم، فقال: كل يوم لا يعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد (صـ ٢٨٢).

٥٠ ـ لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول. . (صـ ٣٦٥).

٥١ ـ سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين (صـ ٣٩٩).

٥٢ ـ وكان على كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول: إن لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون علىّ من موت على فراش (صـ ٤٤٧).

٥٣ ـ قال الأصبغ الحنظلى لما كانت الليلة التى أصيب فيها على كرم الله وجهه أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل، فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام على يمشى وهو يقول:

اشدد حياز يمك للموت فإن الموت لاقيك
ولاتجـــزع مـــن المـــوت إذا حـــل بواديك

لما ضربه ابن ملجم قال: فزت ورب الكعبة (صـ ٤٦٤).

إلى هنا وصلنا إلى آخر الجزء الرابع من إحياء علوم الدين وانتهينا من نقل معظم أقوال الإمام على كرم الله تعالى وجهه الواردة فى الإحياء.

وفى مؤلفات الغزالى الأخرى فإن أقوال الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه التى رواها الغزالى ليست بكثيرة وأكثرها قد أوردها فى الإحياء ورغم ذلك سنذكر بعضا منها كالآتى:

٥٤ ـ قال رضى الله تعالى عنه لمن كان يشاغبه ويماريه فى أمر الآخرة: إن كان الأمر على مازعمت تخلصنا جميعا، وإن كان الأمر كما قلت فقد هلكت ونجوت (ميزان العمل، صـ ١٩).

٥٥ ـ قال على رضى الله عنه لما أثنى عليه: اللهم اغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون (الأربعين فى أصول الدين، صـ ١٣٣).

٥٦ ـ إن الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة: ألم يكن يرخص عليكم فى السعر، أو لم تكونوا تبدءون بالسلام، ألم تكن تقضى لكم الحوائج لا أجر لكم فقد استوفيتم أجوركم (صـ ١٨١).

٥٧ ـ ما يسرنى أن لو مت طفلا وأدخلت الجنة ولم أكبر فأعرف ربى، فإن أعلم الناس بالله أشدهم خشية وأكثرهم عبادة وأحسنهم فى الله سبحانه وتعالى نصيحة (منهاج العابدين، صـ ٢٧).

٥٨ ـ من ظن أنه بدون الجهد يصل فهو متمن، ومن ظن أنه ببذل الجهد يصل فهو مستغن (أيها الولد فى القصور العوالى، جـ١، صـ ١٦٣).

هذا ما استطعت إليه سبيلا فى نقل أقوال الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه من مؤلفات الإمام الغزالى رحمه الله تعالى.

هذه الأقوال القليلة التى أوردها الغزالى فى مؤلفاته تدل دلالة واضحة على أنها صادرة من حياة فكرية خصبة تتميز عن غيرها بالدقة والعمق وبعد النظر واتساع الأفق.

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم . . . .

٢ ـ أحمد بن عبد الله الطبرى العلامة الحافظ محب الدين، ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، بيروت ، دار المعرفة، ١٩٧٤م.

٣ ـ أحمد بن حنبل الإمام، المسند، القاهرة ، دار المعارف للطباعة والنشر، ط ٣، ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩م.

٤ ـ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى الحافظ المشهور بابن ماجه، السنن، القاهرة، دار الحديث، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م.

٥ ـ أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى، البداية والنهاية، القاهرة، دار الريان للتراث، ط ١، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.

٦ ـ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى الإمام الحافظ، السنن، بيروت، دار الفكر، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م.

٧ ـ أبو عبد الله محمد بن محمد الحاكم النيسابورى الإمام الحافظ، المستدرك على الصحيحين، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٨ ـ أحمد محمد الحوفى الدكتور، بلاغة الإمام على، القاهرة، دار نهضة مصر، رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢٦٠/ ١٩٧٧.

٩ ـ الألوسى، بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، . .

١٠ ـ ابن حجر العسقلانى، فتح البارى شرح صحيح البخارى، بيروت، دار الفكر، . .

١١ ـ ابن هشام، السيرة، بيروت، دار الكتاب العربى، ط ١، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧م.

١٢ ـ ابن قيم الجوزى، أعلام الموقعين.

١٣ ـ ابن أبى الحديد، شرح نهج البلاغة، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، ط٢، ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥م.

١٤ ـ توفيق أبو علم، الإمام على بن أبى طالب، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٢م.

١٥ ـ جورج جرداق، على وسقراط، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٠م.

١٦ ـ خليل ياسين الشيخ، الإمام على رسالة وعدالة، بيروت، دار مكتبة الهلال، ط ٢، ١٩٨٤م.

١٧ ـ السيوطى، الإمام، الاتقان فى علوم القرآن، بيروت دار الفكر.

١٨ ـ السيوطى، الإمام ، الجامع الصغير، بيروت دار الكتب العلمية.

١٩ ـ السيد محمد كاظم القزوينى، الإمام على من المهد إلى اللحد، بيروت، مؤسسة الوفاء، ـ ١١، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٠ ـ صبحى صالح، مباحث فى علوم القرآن.

٢١ ـ عباس محمود العقاد، عبقرية على، القاهرة،

٢٢ ـ عبد العزيز غنيم عبد القادر الدكتور، القرآن وحفاظه فى عهد النبى ﷺ.

٢٣ ـ على محمد جريشة الدكتور ومحمد على الزيبق، أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى، القاهرة، دار الاعتصام، ط ١، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م.

٢٤ الغمارى الحسنى الحافظ، فتح الملك العلى بصحة حديث باب مدينة العلم على.

٢٥ ـ الغزالى، إحياء علوم الدين، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

٢٦ ـ الغزالى، المنقذ من الضلال، القاهرة، الجندى.

٢٧ ـ الغزالى، ميزان العمل، القاهرة، الجندى.

٢٨ ـ الغزالى، معراج السالكين (فى القصور العوالى)القاهرة الجندى.

٢٩ ـ الغزالى، الأربعين فى أصول الدين، القاهرة، الجندى.

٣٠ ـ الغزالى، منهاج العابدين، القاهرة، الجندى.

٣١ ـ الغزالى، أيها الولد (القصور العوالى)، القاهرة، الجندى.

٣٢ ـ الفقيه أبو الحسن على بن محمد الشافعى الشهير بابن المغازلى، مناقب الإمام على بن أبى طالب عليه السام، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣.

٣٣ ـ كوكب عامر الدكتورة، أسس التفكير السليم ومناهجه فى الكتاب والسنة، القاهرة، كلية البنات عين شمس، رقم الإيداع بدار الكتب ١١١٩٦/ ١٩٩٣.

٣٤ ـ مناع القطان، مباحث فى علوم القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٥ ـ محمد حسن، المذاهب والأفكار المعاصرة، القاهرة، دار البشير، ط ٣، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠.

٣٦ ـ محمد حسين الذهبى الدكتور الأستاذ، التفسير والمفسرون، كرتشى باكستان، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٧ ـ محمد أبو زهرة الإمام، الإمام الصادق، القاهرة، دار الفكر العربى.

٣٨ ـ محمد عبد المنعم خفاجى الدكتور الأستاذ، ديوان الإمام على (تحقيق)، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، رقم الايداع بدار الكتب ٣٣٨١/ ١٩٨٦.

٣٩ ـ محمد عمارة الدكتور، تيارات الفكر الإسلامى، القاهرة، المستقبل

العربى، ط ١ ، ١٩٨٣ .

٤٠ ـ محمد عبد الرحيم محمد الدكتور، المدخل إلى فقه الإمام على رضى الله عنه، القاهرة، دار الحديث، رقم الإيداع ٩٠٢١/١٩٨٩ .

٤١ ـ محمد عبد العظيم الزرقانى الشيخ، مناهل العرفان فى علوم القرآن، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه.

٤٢ ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى، الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٤٣ ـ النديم، الفهرس، بيروت، دار السيرة، ط٣، ١٩٨٨ .

٤٤ ـ الهيتمى، الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة، القاهرة، مكتبة القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

دراسات وأبحاث للمؤلف

دراسات وأبحاث للمؤلف

١ ـ المنهج الفلسفى عند الغزالى وديكارت للوصول إلى الحقيقة، القاهرة، دار الحديث ، ط ٢، . . . (رقم الإيداع ٣٤٥٢/ ١٩٩٦)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب شعبة الدراسات الفلسفية جامعة عين شمس وكانت مناقشتها فى ١٩٨٥م بتقدير مرتبة الشرف الأولى.

٢ ـ العلامة السيد إبراهيم بن على الوزير الحسنى ومنهجه فى الإصلاح، القاهرة، مطبعة حسان، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥م.

٣ ـ الإمام الغزالى ودراسته فى الحديث النبوى الشريف، القاهرة، ١٩٨٦م.

٤ ـ الإمام الغزالى ودراسته فى القرآن الكريم، القاهرة، ١٩٨٦م.

٥ ـ دراسة فى نشأة التصوف الإسلامى وتطوره من القرن الأول الهجرى إلى القرن الخامس الهجرى، جامعة ملايا ماليزيا، ١٩٨٧م.

٦ ـ دراسات فى الفلسفة الإسلامية، جامعة ملايا ماليزيا، ١٩٨٧م، طبعت للمرة الأولى فى القاهرة بدار الحديث، ١٩٩٣م.

٧ ـ دراسة فى التصوف الفلسفى الإسلامى، جامعة ملايا ماليزيا، ١٩٨٧م، طبعت للمرة الأولى فى القاهرة بدار الحديث، ١٩٩٣م،

٨ ـ دراسة فى الطرق الصوفية، جامعة ملايا مالزيا، ١٩٨٧م، طبعت للمرة الأولى فى القاهرة بدار الحديث، ١٩٩٣م.

٩ـ مدخل إلى الفلسفة، جامعة ملايا ماليزيا، ١٩٨٨ ، طبع فى القاهرة للمرة الأولى بدار الحديث، ١٩٩٣م.

١٠ ـ مدخل إلى التصوف الإسلامى، جامعة ملايا ماليزيا، ١٩٨٨م، طبع للمرة الأولى فى القاهرة بدار الحديث، ١٩٩٣م.

١١ ـ دراسة فى الفلسفة الإسلامية وصلتها بالفلسفة اليونانية، جامعة ملايا ماليزيا، ١٩٨٩م، طبعت فى القاهرة بدار الحديث للمرة الأولى، ١٩٩٥م.

١٢ ـ مقدمة فى مقارنة الأديان، جامعة ملايا ماليزيا، ١٩٨٩م، طبعة للمرة الأولى فى القاهرة بدار الحديث، ١٩٩٣م.

١٣ ـ مقدمة فى العقيدة الإسلامية وعلم الكلام، المعهد العالى للدراسات الإسلامية بروناى دار السلام، ١٩٨٩م، طبعت للمرة الأولى فى القاهرة بدار الحديث، ١٩٩٣م.

١٥ ـ تفسير بعض الآيات من سورة البقرة، المعهد العالى للدراسات بروناى دار السلام، ١٩٨٩م.

١٦ ـ تفسير بعض الآيات من سورة الأنفال، المعهد العالى للدراسات الإسلامية بروناى دار السلام، ١٩٩٠م.

١٧ ـ دراسة فى الالهيات الإسلامية، المعهد العالى المذكور، ١٩٩٠م.

١٨ ـ دراسة فى النبوات، المعهد العالى المذكور، ١٩٩١م.

١٩ ـ دراسة فى السمعيات، المعهد العالى المذكور، ١٩٩١م.

٢٠ ـ دراسة نصية فى كتاب قواعد العقائد للغزالى، المعهد العالى المذكور، ١٩٩١، طبعت للمرة الأولى فى القاهرة بدار الحديث، ١٩٩٥م.

٢١ ـ البدعة فى العقيدة والتصوف، المعهد العالى المذكور، ١٩٩١م، وطبعت للمرة الأولى فى القاهرة بدار الحديث، ١٩٩٣م.

٢٢ ـ تمهيد لدراسة الأناجيل الأربعة وإنجيل برنابا، المعهد العالى المذكور، ١٩٩١م، طبع للمرة الأولى فى القاهرة بدار الحديث، ١٩٩٣م.

٢٣ ـ محاضرات فى التصوف الإسلامى لقسم التفقه فى الدين، المعهد العالى

المذكور، ١٩٩٢.

٢٤ المذاهب المعاصرة، المعهد العالى المذكور، ١٩٩٢م، طبعت للمرة الأولى فى القاهرة بدار الحديث، ١٩٩٣م.

٢٥ ـ أهل السنة والجماعة (مدخل ودراسة)، المعهد العالى المذكور، ١٩٩٣م، طبع للمرة الأولى فى القاهرة بدار الحديث، ١٩٩٣م.

٢٦ ـ تمهيد لدراسة المنطق الصورى، المعهد العالى المذكور، ١٩٩٤م.

٢٧ ـ السيرة الذاتية العطرة، المعهد العالى المذكور، ١٩٩٥م.

٢٨ ـ مدخل إلى السيرة النبوية (الدراسات ومناهجها)، المعهد العالى المذكور، ١٩٩٥م (تحت الطبع).

٢٩ ـ مدخل إلى الدراسات التحليلية (التفسير التحليلى) المعهد العالى المذكور، ١٩٩٦(تحت الطبع).

٣٠ ـ الأخلاق عند الصوفية (أهل السنة والجماعة)، المعهد العالى المذكور، ١٩٩٦م (تحت الطبع).

٣١ ـ محاضرات فى الدعوة الإسلامية (دراسة تمهيدية)، المعهد العالى المذكور، ١٩٩٦ (تحت الطبع).

٣٢ ـ محاضرات فى فن المقال، الجامعة الإسلامية الحكومية بقدح دار الأمان ماليزيا، ١٩٩٦م، (تحت الطبع).

٣٣ ـ الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه: حياته الفكرية وتأثيرها فى فكر الإمام الغزالى رحمه الله تعالى، الجامعة الإسلامية الحكومية بقدح دار الأمان ماليزيا، ١٩٩٦م.

٣٤ ـ مدخل إلى الدراسات الأخلاقية (الفلسفية)، الجامعة الإسلامية الحكومية بقدح دار الأمان ماليزيا، ١٩٩٦م.

٣٥ ـ الأخلاق عند الفلاسفة فى اليونان والقرون الوسطى، الجامعة الإسلامية الحكومية بقدح دار الأمان ماليزيا، ١٩٩٦م.

فهرس الموضوعات

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة:	٥
الفصل الأول: الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى سطور	١٣
الفصل الثانى: الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعلوم عصره	٢٧
الفصل الثالث: الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه والبحث عن الحقيقة	٤٣
الفصل الرابع: صورة وكيفية تطبيق تفكير الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى تفكير الإمام الغزالى رحمه الله	٥٧
الفصل الخامس: الأفكار المعاصرة ومواجهتها بفكر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه	٧٥
الفصل السادس: أقوال الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه الواردة فى مؤلفات الغزالى وفى أحياء علوم الدين خاصة	٨٣
المصادر والمراجع	٩٥
الدراسات والأبحاث للمؤلف	١٠١
فهرس الموضوعات	١٠٧

رقم الايداع

٩٧ / ٣٨٩١